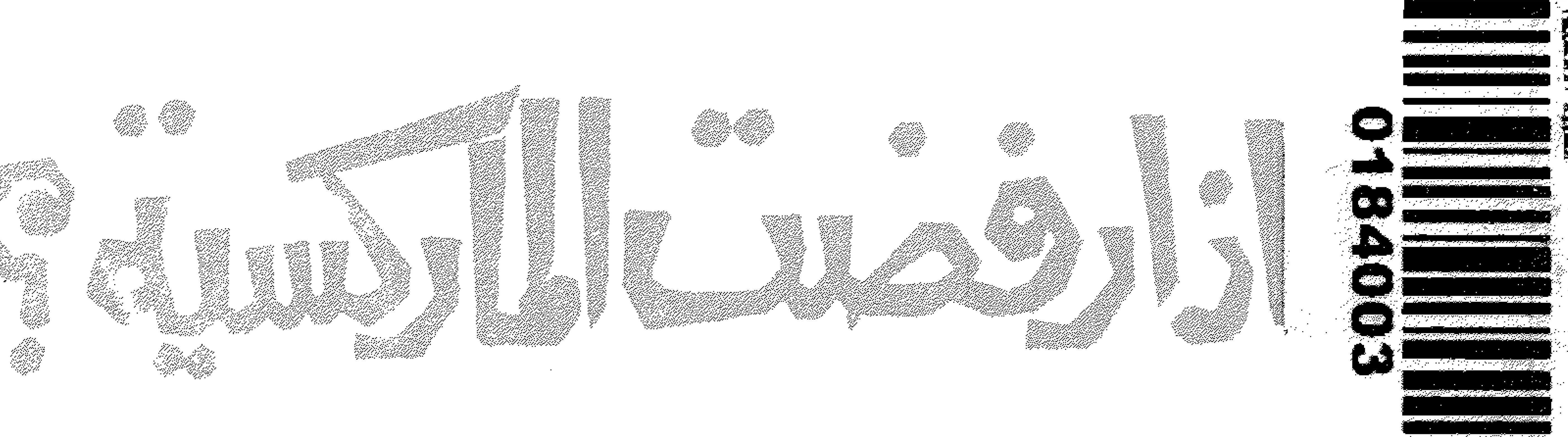
مصطفى محمود



لماذا رفضت الماركسية؟

لماذا رفضت الماركسية؟

مصطفى محمود

لماذا رفضت الماركسية؟

الطبعة الرابعة



دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .

الفصل الأول

لماذا رفضت الماركسية؟

حينما بدأت أكتب فى الخمسينات كانت الماركسية هى موضة الشباب الثائر فى ذلك الوقت.. وكنا نقرأ منشوراتها فى نهم فتحرك مثالياتنا بما تعد به من فردوس أرضى وعدالة ورخاء وغذاء وكساء للعامل والفلاح ومحاربة للاقطاع والاستغلال وتحرير للجماهير الكادحة.

وكانت موسكو تبدو لنا فى ذلك الحين الكعبة الأم لهذا الدين الجديد الذى يشع بالخير والرفاهية لكل من يدور فى فلكه

وكانت أول صحوة لنا من ذلك الحلم حينما سافرنا إلى الخارج ورأينا الخراب والبؤس والوجوه الكئيبة المتجهمة فى المجر ورومانيا وألمانيا وكافة البلاد الشرقية التى تجرى فى هذا الفلك.

وبحثنا عن الرخاء والرفاهية والحرية والفردوس الأرضى فلم نجد له أثرا

وكانت الصدمة الثانية الأعظم حينما فتح خرشوف ملف ستالين وأعلن على رءوس الأشهاد المظالم التى ارتكبها ستالين والملايين من العمال والفلاحين والمثقفين الذين قتلهم فى السجون والمعتقلات وأعدمهم بالرشاشات وألقاهم للموت فى جليد سيبيريا وأسلمهم لآلات التعذيب بين يدى الجلاد الرهيب بريا.

ويومها قالوا لنا.. إنه التطبيق..

الذنب فى التطبيق السيئ.. ولكن النظرية بريئة مبرأة من هذا كله.

واحتاج الأمر منى إلى سنوات من القراءة والدراسة والعكوف على المجلدات الأصلية للمذهب لكى أكتشف أن الفساد ليس فى التطبيق ولكن الفساد فى المذهب نفسه وأن تلك الأفكار الثورية لم تكن أكثر من تحشيد وتحريض ودفع لكتل الجماهير نحو ثأر تاريخى يخرج العالم من ظلم ليلقى به فى ظلم أفدح وأشمل وأعم.

يقول ماركس بأن التاريخ عبارة عن تنازع مصالح مادية ويرى أن التاريخ يتحرك إلى الأمام بدفع من الصراع الطبقى بين السادة والعبيد.. وكلما تغيرت أساليب الإنتاج تغير معها شكل المجتمع وحضارته وفنونه.

جاء المجتمع الزراعى فجاء معه بفنونه وآدابه وتقاليده

وأديانه وكانت وظيفة هذه الأديان هى الحفاظ على مصالح السادة الإقطاعيين. ثم جاء عصر الصناعة والبخار فجاء معه بفنون وأفكار وأخلاقيات جديدة تحفظ للسادة امتيازاتهم.. ثم تطور العلم وتطورت معه أساليب الإنتاج وجاء الأوان أخيرا ليقلب العمال نظام العالم ويأتون بأفكارهم وأخلاقياتهم ودينهم (الشيوعية) الذى يكتسحون به الأديان المتخلفة الموجودة ويقودون العالم إلى مجتمع لا طبقى يمتاز بالوفرة فى كل شئ، ويعمل فيه كل فرد على قدر طاقته ويأخذ على قدر حاجته بلا ظلم وبلا استغلال.

وكانت وسيلة ماركس إلى ذلك تأميم وسائل الإنتاج وانفراد طبقة العمال بالديكتاتورية والسلطة.

ولا يرى ماركس أثرا لأى عوامل أو قوى غيبيه أو إرادة إلهية وراء هذه العوامل المادية تؤثر فى التاريخ.. وما الله فى نظر ماركس إلا الصنم الذى أقامته البورجوازية لتخدع به الطبقة العاملة وتشغلها بالسجود والركوع بين يديه انتظارا لفردوس وهمى بعد الموت لتخلو لهم الدنيا يستمتعون بثمراتها كما يشاءون دون خوف أن ينازعهم العمال امتيازاتهم.. فما الدين فى الحقيقة إلا مخدر الفقراء وأفيون الشعوب والحشيش الذى يغيبون به العقول كلما أوشكت أن تصحو وتنفجر على ثورة.

ولهذا جعل ماركس القضاء على الأديان على رأس مخططه

وبدأت الثورة البلشفية بهدم المساجد والكنائس وإحراق الأناجيل والمصاحف واعتقال رجال الدين وإلغاء التربية الدينية من المدارس وتدريس الإلحاد والماركسية كمادة إجبارية للأطفال والكبار.

وقد وقع ماركس فى عدة أخطاء قاتلة كانت كفيلة فى النهاية بالقضاء على نظريته.

أولا : اعتمد ماركس فى استنباط نظريته عن التاريخ على بعض مراحل تاريخية دون الأخرى.. فكان ينتقى من التاريخ ما يوافق هواه ويهمل ما يناقض فكره.. ومن هنا لا يصح أن تكون للقوانين التى استخرجها صفة الإطلاق على التاريخ كله ولا تصدق عليها صفة القوانين وإنما هى فى الحقيقة تلفيقات

وأقوى البراهين على ذلك هى نشأة الإسلام فلم يكن الإسلام قط من إفراز النظام الطبقى فى قريش، ولم يكن دينا رجعيا يحفظ للظالمين المستبدين أموالهم وامتيازاتهم، ولم يكن مخدرا للفقراء دافعا لهم على قبول فقرهم، فقد دعا الإسلام إلى التمتع بالحياة فى اعتدال ودعا إلى قتال الظالمين المستغلين.

ولم يأت الاسلام نتيجة انقلاب مناظر فى نظام الإنتاج وعلاقات الإنتاج فى قريش.. وإنما جاء كظاهرة فوقية مستقلة عن البيئة.

فقد جاء الإسلام من البداية مقررا المساواة فى الفرص وضمان حق الكفاية للمواطن وتحقيق التوازن الاقتصادى بين الفرد والمجتمع وجاء بمبدأ الملكية الخاصة والملكية العامة ومبدأ الاقتصاد الحر الموجه.. وجاء بكل ذلك فى الجزيرة العربية فى وقت لم تكن ظروف الإنتاج وعلاقات الإنتاج تدعو إليه بحيث يمكن أن نقول إن ما حدث كان انبثاقا من واقع اقتصادى.. وتحدى بذلك منطق الماركسية التاريخى وحساباتها المادية التى تحتم انبثاق كل انقلاب سياسى من انقلاب مناظر فى الإنتاج وعلاقاته.

ثانيا :وقع الفكر الماركسى فى تناقض أساسى بين كونه فكرا يدعو إلى التضحية والبذل من أجل الآخرين وبين كونه فكرا محروما من الحافز الدينى والمبدأ الروحى.. والدين كما هو معلوم يمد الإنسان بأعظم طاقة ليضحى ويبذل بلا حدود وعن طيب خاطر.

وهكذا أصبحت الماركسية تطالب بالنقاء الثورى والتضحية والولاء ثم تجعل هذه الأخلاقيات مستحيلة بالفكر والنظرية (بحكم مادية النظر إلى الأشياء).

وهكذا تصور الماركسيون الماديون أن ثلاث وجبات دسمة يمكن أن تكون عزاء كافيا لإنسان يعلم أنه ولد ليموت.. إنسان كتب عليه أن يتألم وحده.. ويشيخ وحده.. ويموت وحده.. وتصوروا أن الولاء يمكن أن يشترى بالمرتب والمكافأة

إن لم يشتر بالخوف من قطع العيش.. وكان هذا وهما كبيرا.

وإنها كلمة قديمة جدا.. «إنه ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان».. وإننا إذا كنا نولد لنموت فإن الدين الذى يقدم لنا حياة مطلقة وبعثا وخلودا هو أمر لا يمكن شطبه بجرة قلم ولا يمكن محاربته بخزعبلات نظرية

وقد وجد ستالين نفسه أمام هذا التناقض الذى لا حل له حينما هجم الجيش النازى على روسيا وبلغ أبواب ستالينجراد.. فقد رأى الفلاح الروسى يقف متخاذلا لا يعرف لماذا يحارب ولماذا يموت ولا بعث بعد الموت ولا جنة ولا تكريم لشهيد..

لقد سلبت منه الشيوعية الجنة وسرقت منه الخلود فلم يعد يتحمس لشىء.

ولم يجد ستالين بدا من أن يعود فيبنى الكنائس ويفتح المساجد ليحيى القلوب التى ماتت.

وتغيرت التعليمات لكل الخلايا الشيوعية.. وجاءت الأوامر الجديدة.

لا تذكروا الدين بسوء.. ولا تتعرضوا لله.. ولا تناقشوا فى الغيبيات.. وإذا سئلتم فى ذلك فقولوا: هى مسائل غير مطروحة.. وليس هذا أوانها.

ولم تنفع هذه الاستراتجية الجديدة فى علاج الشكوك التى تحركت فى الصدور.

وعاد أنبياء الكرملين فاجتمعوا وانفضوا.

ثم عادوا فأصدروا تعليمات جديدة.. وسمعنا عن بعثات حج روسية تخرج من موسكو إلى مكة.. وسمعنا عن مفتٍ إسلامى يفتى فى روسيا البلشقية.

ولبس بعض الماركسيين طرحة إسلامية.

ولم ينفع هذا الصلح الانتهازى مع الدين.

ولكنه كشف للماركسيين أنفسهم عن ثغرة فى نظريتهم لا حل لها.

ثالثا: ذلك العامل الاقتصادى الواحد الذى جعل منه ماركس إلها تصدر عنه كل الأشياء وسببا وحيدا تتداعى من ورائه كل التغيرات التاريخيه والحضارية فيما يسميه بالتفسير المادى للتاريخ.

هذه الفكرة سقطت علميا والرأى السائد الآن أنه فى ميدان الظواهر الاجتماعية لا يوجد سبب واحد مستقل منفصل وفاعل يولد النتائج والظواهر الثانوية وإنما هناك عوامل متعددة تؤثر فى بعضها تأثيرات متقابلة.. فالعامل الجوهرى اليوم يمكن أن يصبح عاملا ثانويا فى الغد.

والعامل الاقتصادى بهذا لا يصلح أن يكون إلها تصدر عنه الأشياء وإنما هناك العامل القومى والنفسى والعنصرى والعقائدى يمكن أن تشكل التاريخ بأقوى مما يشكله العامل الاقتصادى.. وبين الصين وروسيا صراع سوف يشكل التاريخ ومع ذلك فهو ليس صراعا طبقيا ولا اقتصاديا، فالدولتان كلتاهما شيوعية وبقيادة البروليتاريا.

رابعا: كانت دكتاتورية البروليتاريا انتقالا بالمجتمع من ظلم طبقى إلى ظلم طبقى آخر.. وكانت استبدالا للاستغلال الموجود باستغلال آخر أشمل وأسوأ وأعم.. فقد جاء الحزب الحاكم الجديد وجاء معه بزبانية مراكز القوى ليسجنوا ويعتقلوا ويظلموا ويستبدوا للحفاظ على امتياز الذين تميزوا وسلطان الذين تسلطوا.. وهكذا نقلوا المجتمع من طغيان إلى طغيان أفدح وأشاعوا مناخا من الرعب والصمت الرهيب والخرس الذى قطعت فيه الألسن وكسرت الأقلام وكممت الأفواه .. فالصحف جميعا ملك للسادة الجالسين فى مراكز القوى وسياط الرقابة مسلطة على الجميع.

وهذه أمور جربناها واحترقنا بنارها ونعرف تماما ماذا تعنى.

وكان ماركس مبالغا أشد المبالغة فى تلك الهالة الأسطورية التى أضفاها على البروليتاريا (طبقة العمال) فى كلامه عن نقاء البروليتاريا وطهارة البروليتاريا وكأنها شعب الله المختار أو

جنس آخر قادم من المريخ.. ونسى أن العامل والمثقف ومالك الأرض هم غالبا أفراد أسرة واحدة.

وقد أقام ماركس نظريته على ظروف القرن التاسع عشر الصناعية المتخلفة حيث العامل يدوى كادح مطحون مسحوق لا يكاد يجد لقمته.. ولم يتصور ما ستحدثه ثورة العلم والتكنولوجيا فى القرن العشرين حيث العامل رجل مرفه يجلس أمام أزرار وآلات إلكترونية ومن ورائه نقابات عمالية وقوانين للتأمين ضد العجز والشيخوخة والمرض تحفظ له حقه.

ثم ها نحن أولاء، نرى أمامنا الطبقة العاملة نفسها تنشق إلى طبقتين متناقضتين نتيجة تفاوت الدخول هما العمال المؤهلون والعمال غير المؤهلين تنتج عنها فئة أرستقراطية وفئة شعبية من العمال أنفسهم.

والنتيجة كانت انفصال الفكر الماركسى عن واقع القرن الذى نعيشه ورجعيته وتخلفه قياسا إلى ظروف عصرنا.

خامسا: هذا التعسف المنهجى الذى اتسمت به الماركسية وإصرارها على أن تكون فكرا شموليا يجيب عن كل شىء ويبتكر الحل لكل معضلة ويفتح كل باب ويجاوب على كل سؤال. ثم ادعاؤها لحتمية قوانينها.. مع أنه من الأمور المعلومة أنه لا حتمية فى الأمور الإنسانية.. لأن الناس ليسوا جمادات مثل كرات البيلياردو ولا هم آلات صماء كتروس الساعات يمكن حساب حركاتها والقول بحتميتها والتنبؤ بها.

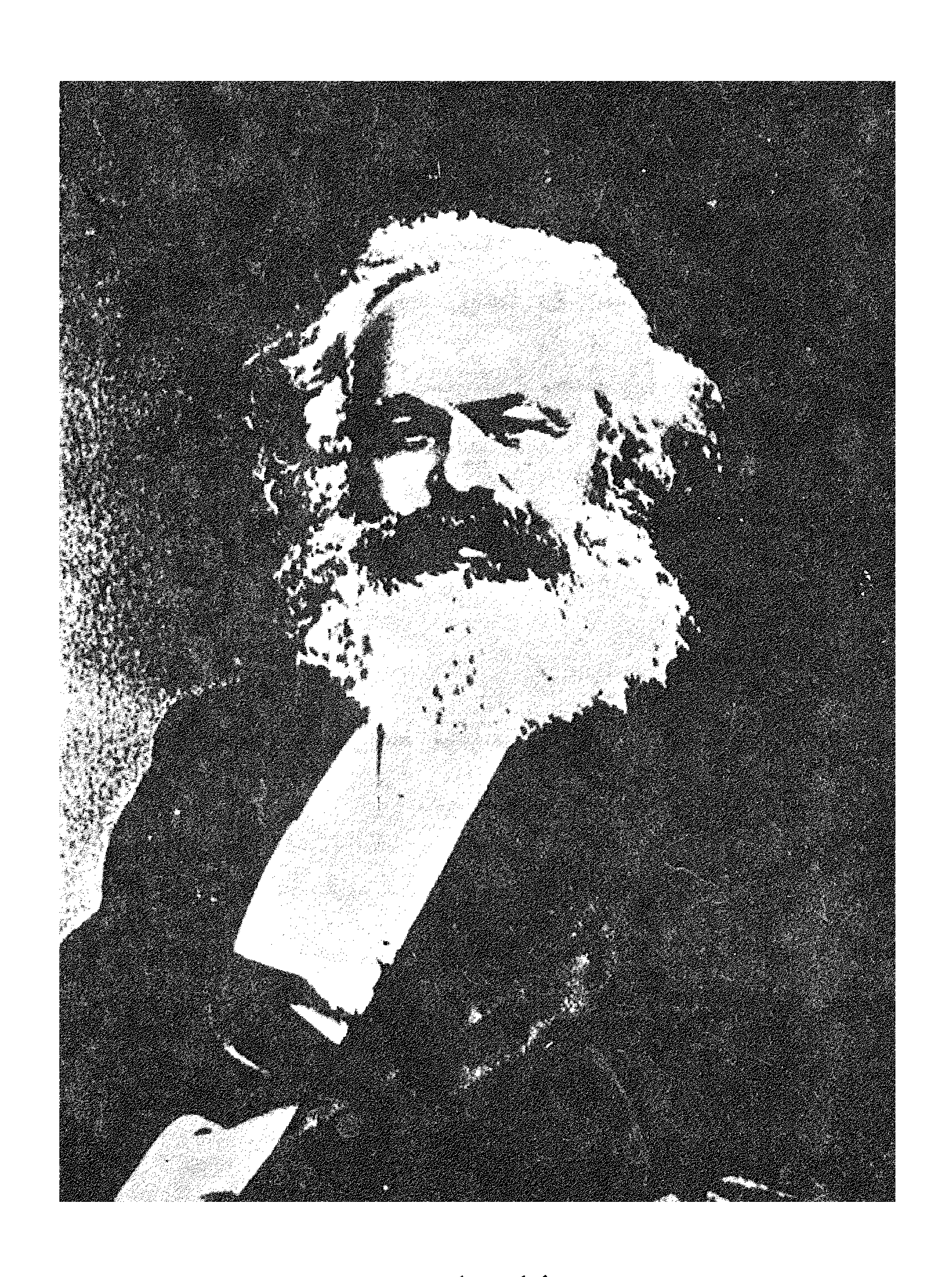
ولهذا أخطأ ماركس فى جميع تنبؤاته.. فقال بخروج الشيوعية من مجتمع صناعى رأسمالى متقدم مثل إنجلترا وألمانيا فكذب التاريخ نبوءته وخرجت الشيوعية من بلد زراعى متخلف كالصين.

وتنبأ باتساع هوة الخلاف بين البورجوازية والبروليتاريا فى الدول الرأسمالية بشكل مطرد إلى أن يتفاقم الوضع إلى ثورة تقلب العالم كله، ولكن ما حدث فى المجتمعات الرأسمالية كان العكس وهو مزيد من التقارب بين الطبقات عقب سلسلة من الإجراءات الإصلاحية والأنشطة النقابية فى حين انطلق الصراع وتفاقم بين دول العالم الاشتراكى نفسه مثل الصراع بين روسيا والصين.

وتنبأ ماركس بازدياد تمركز رءوس الأموال فى احتكارات هائلة يزداد معها غنى الأغنياء وفقر الفقراء ولكن الذى حدث كان اتجاها إلى تفتيت رءوس الأموال. عن طريق الشركات المساهمة وتفتيت الملكيات الزراعية من تلقاء نفسها بالميراث.

وتنبأ ماركس بالأزمة الاقتصادية الماحقة التى تسحق النظام الرأسمالى بسبب ازدياد إجمالى الإنتاج عن معدل الطلب والقدرة الشرائية نتيجة فقر العمال المدقع.. ولكن الملاحظ إلى الآن أن كل أزمات الرأسمالية ذات طابع عرضى.

وأخطأ ماركس فى نظريته عن فائض القيمة وقال بأن أجر



كارل ماركس

(عام ١٨٧٥)
أخطأ في كل تنبؤاته

العامل فى النظام الرأسمالى يتحدد على أساس الحد الأدنى اللازم لمعيشته.. ولكن الواقع كذب هذه التقديرات بفضل التشريعات الجديدة والتعديلات التى أدخلها النظام الرأسمالى على نفسه فارتفع أجر العامل فى دول أوربية كثيرة إلى مستوى رخاء ملحوظ سبق به زميله فى الدول الاشتراكية.

وحاولت الماركسية أن تحمى نفسها بالتعصب وإطلاق الشعارات وادعاء العلمية والتقدمية واتهام المخالفين فى أخلاقهم فهم خونة ورجعيون متعفنون، فأصبح الشيوعى مثلا للجمود والتزمت وضيق الأفق والتبعية فى الرأى والصلافة والغلظة.

سادسا: أدى التأميم الشامل حيثما طبق وفى أى بلد إلى هبوط فى الانتاج وإلى كارثة اقتصادية.

وقال خرشوف كلمته الشهيرة إن البقرة التى يملكها صاحبها تدر من اللبن أكثر من البقرة التى تملكها الدولة.. هادما بذلك كل فلسفة ماركس فى التأميم والملكية الاشتراكية.

وكان التأميم يجر وراءه اللامبالاة والإهمال والكسل والبيروقراطية وسوء الإنتاج.

وأمام خطر البيروقراطية الذى استشرى فى كل البلاد الاشتراكية راح أنبياء الكرملين يجتمعون وينفضون ويقدحون الأذهان ثم خرجوا علينا بفلسفة الحوافز.

ولكن الحوافز لم تفعل شيئا.. بل كانت نوعا من الرشوة أدت إلى طمع من يأخذ وحقد من لا يأخذ.. ثم إلى مزيد من الصراعات واستمرار فى هبوط الإنتاج.

ورأينا روسيا التى تملك أكبر حقول القمح فى أوكرانيا تطلب القمح من أمريكا وتفتح بلادها للمصانع الأمريكية ولفروع البنوك الأمريكية.

بعد أن نزعوا ملكية المواطن الروسى سمحوا بالملكية والاستثمار لرأس المال الأمريكى.

نهاية أشبه بالنكتة.

وقد كان التأميم محكوما عليه بالفشل من البداية.. وكان الفساد فى المبدأ وليس فى التطبيق لأنه مضاد للفطرة.

والحضارة من فكر وفن وصناعة هى فى النهاية ثمرة ملكات أفراد ومواهب وتطلعات أفراد.. وإذا حرمنا تلك الملكات مجالها الحر وسجناها فى ديوان موظفين تعمل فى روتين وآلية بلا طموح انتهت إلى العقم والكسل والبلادة.

ثم إن نظام التأميم يسد كل أبواب الرزق ولا يبقى للناس إلا باب التوظيف بالحكومة وبذلك لا تعود هناك وسيلة لضمان اللقمة سوى النفاق للحاكم والتملق للرؤساء والانتهازية والشللية والتبليغ والتخابر والتجسس والعمالة، وبذلك يتحول المجتمع تلقائيا إلى غابة من الناس يأكل بعضهم بعضا.

والعامل وقد رأى أمامه أباطرة المال وقياصرة الأرض يعرون عن أملاكهم بكل سهولة ويطردون أصبح يشعر بأن هيبة كل كبير قد سقطت نهائيا، فهو يتحول بغريزته دون أن يدرى إلى من هو فوقه يحاول أن يسحب منه الكرسى ليقفز مكانه.

والصراع الطبقى بين الفلاح وصاحب الأرض وبين العامل وصاحب العمل وقد وجد فرصته - ينتشر كما تنتشر النار فى الهشيم فيتحول إلى منطق يحكم المجتمع كله، فإذا بكل من هو أدنى ينظر فى تربص إلى كل من هو أعلى فيتمزق المجتمع إلى ملايين يطعن بعضهم بعضا وينقسم الكل إلى جبهات متقاتلة متباغضة، سكان وأصحاب مساكن محررين ورؤساء تحرير.. عساكر وضباط.. موظفين ومديرين.. خدام ومخدومين.. كل مرءوس يتحين الفرصة ليطعن رئيسه ويحل محله بحق أو بغير حق .. فإن ما حدث فى القمة قد أعطى المثل للقاعدة وتلقفته الأحقاد لينتشر فى حرب داخلية صامته تستنزف الموارد لآخر مليم فى مكائد ورشاوى وسرقات واختلاسات لا آخر لها.

يقول تروتسكى وهو أحد أنبياء الاشتراكية:

إن بين شكوى الفرد وطموحه وضعا نفسيا فيه الكثير من كوامن الحقد.. والحقد هو أسهل معاول الصراع الطبقى.

هذا هو كلام تروتسكى، وهو اعتراف صريح بشرعية الحقد

عند هؤلاء المخربين وشرعية استخدامه لقلب المجتمع.

وهذا هو ما أشار إليه الرئيس السادات فى كلمته التاريخية حينما قال:

- لقد ترك لى عبد الناصر تركة من الحقد لا أجد لها إلى الآن حلا.

ثم إن التأميم الذى انتزع المصانع من يد خمسة أو ستة رأسماليين مستغلين قد سلمها إلى مائة ألف لص فى المؤسسات والجمعيات التعاونية ينهبونها.

والمنتج الرأسمالى كان على الأقل أستاذا فى مهنته وكان بدافع مصلحته يتفنن ويبتكر ويبدع ويعطى المستهلك أقصى إجادة ليحصل على أقصى ربح.. أما المائة ألف لص فى المؤسسات والجمعيات التعاونية فلا علم لهم بالحرفة وهم لا يبتكرون ولا يبدعون ولا يعملون ولا يعطون.. وإنما كل همهم هو التسابق على النهب والسلب.. والنتيجة هى الكارثة الاقتصادية التى وقع فيها كل من طبق التأميم على نطاق واسع.

هذه إذن هى الماركسية ولم يكن ما حدث من مظالم فى البلاد الشيوعية سببه عيوب فى التطبيق.. بل كان العيب فى صلب النظرية ذاتها.

وقد انتهت الماركسية من العالم كفكر.

ولكن الماركسيين فى بلادنا وقد كسدت بضاعتهم عادوا إلى التسلل بأساليب أخرى. هذه المرة بوجوه إسلامية ولغة إسلامية محاولين ركوب الموجة الدينية وتلفيق حلف بين الماركسيين والاسلام.

ورأينا خالد محيى الدين يضع نيشان لينين على صدره ومصحف محمد فى يده.. ويكتب مقالا طويلا غريبا فى روز اليوسف عن الماركسى المسلم يقول فيه بالحرف الواحد:

«ولماذا لا نضيف إلى الماركسية بعدا روحيا»

ناسيا بذلك أنه يفترى على ماركس فى قبره ويفترى على محمد فى مثواه وأنه يزيف لنا الاثنين فى نفس الوقت.

وماذا يقول خالد فيما كتبه زعماؤه فى كتبهم.

ماذا يقول فى كلمة لينين القاطعة.

إننا لا نؤمن بالله ونحن نعرف كل المعرفة أن أرباب الكنيسة والإقطاعيين والبورجوازيين لا يخاطبوننا باسم الله إلا استغلالا.

لينين

الدستور والأخلاق والدين خدعة بورجوازية تتستر من ورائها البورجوازية من أجل مطامعها.

المانفستو الشيوعى

الفكر لم يخلق المادة وإنما المادة هى التى خلقت الفكر.

إنجلز

العالم يتطور تبعا لقوانين المادة وهو ليس بحاجة إلى أى عقل كلى.

ستالين (المادية الجدلية)

كيف سيصنع لنا خالد محيى الدين من هذه الماركسية المادية الملحدة ومن الإسلام الصافى العذب المؤمن تركيبا منطقيا.. .. وكل من المذهبين يرفض الآخر كلية.

كيف يصنع من الإيمان والإنكار رجلا إلا أن يكون رجلا متناقضا مصابا بانفصام الشخصية لا يصلح لشىء.

وإذا سلخ من المذهب ماديته وإلحاده فإنه سيفترى على ماركس إذا سمى ما تبقى فى يده من فكر مسلوخ.. ماركسية.

ثم ما الداعى لكل هذا الاعتساف والافتعال والتمسك بفلسفة هو نفسه يكذبها ويلعنها كل يوم خمس مرات فى صلواته.

كيف يلعن هذه الفلسفة على السجادة ثم يعود فيروجها بين الجماهير.

وألف سؤال وسؤال دار فى ذهنى وأنا أقرأ هذا المقال الغريب.



ستالين

قتل الملايين فى السجون

والظاهر أن الأخ خالد محيى الدين قد خلا إلى نفسه وأعاد النظر ثم وجد أن الاستمرار فى هذه النغمة لن يجدى.. فعاد فأعلن أنه ليس ماركسيا وأنه لا يعتنق الماركسية وإنما هو يفكر تفكيرا مستقلا ويحاول أن ينتقى من أفكار ماركس وتراثه ما يصلح، نابذا ومستبعدا كل ما هو إلحادى وكل ما هو فاسد.

ولا أدرى ماذا بقى صالحا من أفكار ماركس وقد استعرضناها بندا بندا.

وقد انتهت الماركسية كفكر من العالم ولم تبق منها إلا شعارات تهييج وتحريض يتداولها المخربون فى الدول النامية لأغراض معروفة.

والذين يؤمنون بالماركسية فى مصر هم شباب لا يقرءون ولا يتابعون ما يجرى فى الدنيا.

والقائلون بأن الماركسية نجحت وانتشرت.. أقول لهم نعم انتشرت ولكن كيف.. كتحشيد وتعبئة لثأر قديم وغل حمله الأحفاد عن الآباء عن الأجداد يطحنونه تحت أضراسهم حتى وجد من ينظمه ويوزع عليه السلاح.

نجحت الفكرة كانتقام وتنفيس عن أحقاد مكبوتة ونجحت كتحشيد عسكرى مادى تكنولوجى.

ولكن ألم تنجح اليابان فى الخروج من دمار القنبلة الذرية ومن الهزيمة الكاملة إلى ذروة القوة الاقتصادية بفضل نظام

رأسمالى يرى الماركسيون أنفسهم أنه نظام خاطئ؟

إن نجاح فكرة لا يعنى دائما صوابها.. فقد تنتشر الأفكار الخاطئة لمجرد أنها تلقى ترحيبا من غرائز الناس وأهوائهم.. وما أسهل تحريض الجياع على الشبعانين.

ثم إن النجاح فى جانب لا يعنى النجاح فى كل جانب. فقد تنجح الثورة فى بناء مصنع ثم تفشل فى بناء إنسان..

ثم ما حاجتنا إلى ترقيع حضارتنا وشخصيتنا العربية الأصيلة بالأجنبى والمستورد من حضارات عقمت وفشلت وشاخت وهى بعد فى ميلادها.

وما معنى هذا المنبر المصنوع من ألف رقعة ورقعة.. رقعة إسلامية مع رقعة ماركسية مع رقعة لينينية، مع رقعة ناصرية مع رقعة تيتوية.

إلى متى هذا الضياع..

وإذا كان خالد مسلما حقا فلماذا لا يصغى إلى صوت الإسلام العذب الصافى ويأخذ من نبعه ويستمد من مدده الذى لا يكف عن الفيض والعطاء ويصغى إلى الرب الكريم الواحد، ولا يشرك معه هؤلاء النكرات الذين أنكروه وسبوا أنبياءه وحرفوا كتبه.

ماذا يقول لنا الإسلام..

إن الإسلام لا يتملق الكثرة.. ولا يحـرك كتـل الفـلاحين ليضرب بها الملاك، ولا يحرك كتل العمال ليضرب بها الـطلبة وأصحاب الأعمال.. ولا يداهن الأغلبية بل يذمها لأنهـا علـى جهل.

(أكثر الناس لا يعلمون) [٢١ - يوسف]

(أكثر الناس لا يؤمنون) [٥٩ - غافر]

(بل أكثرهم لا يعقلون) [٦٣ - العنكبوت]

(إن يتبعون إلا الظن) [١١٦ - الأنعام]

(إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل) [٤٤ - الفرقان]

(لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون)
[٧ - يس]

(فأبى أكثر الناس إلا كفورا) [٨٩ - الإسراء]

(وما وجدنا لأكثرهم من عهد إن وجدنا أكثرهم لفاسقين)
[١٠٢ - الأعراف]

(وإن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله)
[١١٦ - الأنعام]

(وما يتبع أكثرهم إلا ظنا إن الظن لا يغنى من الحق شيئا)
[٣٦ - يونس]

(بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون)
[٧٠ - المؤمنون]

الأغلبية دائما عبيد هوى. ولذلك فهى أسهل استدراجا إلى الباطل.. ولو أن محمدا بدأ الدعوة إلى الاسلام باستفتاء شعبى فى مكة.. أيهما تعبدون: الله الواحد، أم الأصنام؟ لجاءت النتيجة ٩٩,٩٪ مع الأصنام ولمات الإسلام يوم مولده.

وقديما أجمعت الأغلبية على إعدام سقراط وحرق برونو وسجن غاليليو.

فالأغلبية هى الغوغاء.. ولا يتملق الغوغاء إلا الغوغائيون وأهل المذاهب الغوغائية مثل إخواننا الماركسيين الذين يصرخون هاتفين فى الأبواق، ويرفعون لافتات الشعب والجماهير والكادحين والمطحونين والمسحوقين والجياع والعمال والفلاحين.

وهذا هو الفرق بين الإسلام وبين هذه العقائد الغوغائية.. فالإسلام يخاطب العقل ويناشد الصفوة ويضع أهل العلم وقادة الثقافة فى مقدمة العربة الاجتماعية.

«خياركم فى الجاهلية خياركم فى الإسلام إذا فقهوا».

«حديث شريف»

ويندب هذه الصفوة المنتخبة للقياة والريادة.

أما الماركسيون فيحركون كتل الغوغاء ويتملقون كثرة العمال والفلاحين وينادونهم بالطليعة وصناع التاريخ وبناة المستقبل، لا عن صدق وإقتناع ولكن عن انتهازية ليستعملوهم فى عمليات التهييج والتحريض.. يضربون بهم كتل المجتمع بعضها ببعض ويهددون كل فئة بالأخرى ويشغلون الكل بالصراع الطبقى المدمر ليسلم لهم مربع السلطة الذى يجلسون عليه يديرون منه عمليات المذابح ويملئون المعتقلات باسم الحرية والتقدمية ومصلحة الجماهير ويخفون مخططهم الدموى فى ضوضاء المسيرات الشبابية وطنين الأغانى الشعبية وضجيج الإذاعات وصراخ الشعارات فى محاولة مستمر لإثارة غريزة القطيع وتحشيد الجماهير فى مواجهة أى معارضة.

وهذه هى واجهة العصر السياسية.

همجية منظمة.. وغوغائية ظاهرها علمانى خادع.

الصراع الطبقى يسمونه عدالة.

والحقد يسمونه إنسانية والجهالة يسمونها علما.

والرجعية تقدما.

والاعتقالات والأساليب البوليسية تحريرا.

ثم المثقفون يضربون بالعمال.. والملاك يضربون بالفلاحين.

والأغنياء بالفقراء، والرءوس الكبيرة بالرءوس الصغيرة.. ليصفو الأمر فى النهاية لفئة وطبقة جديدة تملك وتحكم وتستبد وتتسلط باسم الحزب والنظرية وتستمتع بما لم يستمتع به رأسمالى أو إقطاعى.. وقد صدقت عليهم كلمة « المعرى » :

إنمـــا هـــذه المـــذاهب أســـباب
لجـــلب الـــدنيا إلـــى الرؤســـاء

فهى انتهازية جديدة وإن لبست مســوح العلــم ورفعــت شعارات التقدم وتكلمت باسم الكادحين.

والإسلام احترم الكادح واحترم الفــلاح وأشــاد بــالعامل المخلص..

ألم يكن داود النبى حدادا.. وإدريس النبى خياطا.. ونــوح النبى نجارا.. ومحمد النبى الخاتم عليه صلوات الله وســلامه راعيا للغنم؟.

والعامل والطالب والمثقف والفلاح يخرجون من أسرة واحدة وهم أب وابن وأخ وعم وخال..

والفقر والغنى حالات تتداول على الناس كلهم.. غنى اليوم كان فقير الأمس أو كان ابنا لفقيــر الأمس.. فلمــاذا نضرب الناس بالناس ونحرض الناس على الناس.. ونشعل الأحقــاد ونثير الفتن.



لينين

نحن لا نؤمن بالله

أين هذا الحقد الأسود من بساطة الإسلام ونقائه. الإسلام الذى افتتح آياته بالعلم:

(اقرأ باسم ربك).

[١ ـ العلق]

ثم قرن العلم بالعمل:

(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم)

[١٠٥ ـ التوبة]

وشرط نجاح العمل بصلاح النية وإيمان القلب:

(إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية)
[٧ ـ البينة]

وجعل الوسيلة إلى العدل الاجتماعى تراحما وتعاونا وترابطا وليس تصارعا وتناحرا طبقيا:

(إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم)

[١٠ ـ الحجرات]

وجعل حرية الفرد وكرامته وأمنه وحياته حقا أوليا.. من اغتال هذه الحق فقد اغتال الإنسانية كلها:

(من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا)
[٣٢ ـ المائدة]

وجعل نصيب الفقير فى عنق الغنى حقا لا صدقة:

(فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم)

[٢٤ ـ المعارج]

وجعل من حق الحاكم أن يجبى هـذه الأمـوال زكاة ثـم ضرائب إضافية إذا دعت الحاجة دونمـا مسـاس بـالملكية الفردية، ودون مصادرة لنشاط الفرد مادام لا يخـالف شرعـا ولا يضر بمصلحة.

بهذا الدستور البسيط المحكم سبق الإسلام جميع النـظم التى جاءت بعده من رأسمالية إلى شيوعية إلـى اشـتراكية كما سبق ميثاق حقوق الانسـان.. وكان أول صـيحة تحـرير متكاملة لروح الإنسان وجسده منذ أربعة عشر قرنا.

وهذا هو ديننا.. دين العلم والعدل والحرية.

فما حاجتنا إلى هذا التخليط والترقيع.

وكيف تقف أيها الرفيق خالد بين يدى الله فتهتف له وتهتف لأعدائه فى نفس الوقت.

ثم ما هذه الحيلة الجديدة التى ترفعون فيهـا المصـاحف على أسنة المانفستو.. وتطعنون الإسلام.. وتتاجرون بـاسمه.. وتسبحون لله ولمنكريه.

ثم نكتة هذا العصر.. وأضحوكة هذا الـزمان: المنـظمة

الإسلامية الماركسية!

ولو كان ماركس حيا، لاستلقى على قفاه من الضحك على هذه المنظمة ولبكى غما على ما جرى له ولفلسفته.

ألم يعد للماركسية أمل فى حياة دون أن تتمسح هذا التمسح الانتهازى بالإسلام، ودون أن تتوسل هذا التوسل الذليل بأعداء الأمس؟

أليس هذا أكبر دليل على أنها ماتت كفكر مع موت صاحبها من أمد طويل؟!

الفصل الثانى

خالد محيى الدين يرد على د. مصطفى محمود

نحن لا نلعن الماركسية على السجادة

أصبحت الماركسية فى مصر حصان طروادة الذى يركبه الجميع حيلة وخداعا، كما أصبحت كبش الفداء لما يحدث فى واقعنا، والشماعة التى يعلق عليها أعداء التقدم مآسى الناس. وكأنها أيضا الأخطبوط الذى يتم تحذير الناس منه إبقاء على الأوضاع السيئة والتى تحتاج للتغير ورفضا لتوعية الناس وتفكيرهم فى أوضاعهم الاجتماعية باسم الدين والوطنية.. مع أن الماركسيين كما يدعى أعداؤهم لا يزيد عددهم على خمسمائة أو الألف إلا أن هؤلاء هم الخطر الأكبر على مستقبل الـ ٤٠ مليون مصرى. وهم المسئولون عن ازدياد الأسعار وزيادة التفاوت فى الدخول وسوء استخدام السلطة برغم أنهم ليسوا فى السلطة ولم يكونوا فيها أبدا.

صفحات كاملة فى أخبار اليوم للهجوم على الماركسية وإثبات فشلها ونهايتها فى كل مكان وإذا كان الأمر كذلك

والماركسية فى طريقها إلى الفشل والتراجع فى كل مكان فلماذا هذه الحملة الشديدة عليها وتبصير الناس بأخطارها، وهى النظرية التى ثبت فشلها فى التطبيق والممارسة والحياة وهى فى طريقها نحو الانحلال والذبول..

ولماذا الهجوم الضارى على تنظيمنا واتهامه بالماركسية مع أنه نبع من المؤسسات الدستورية لثورة التصحيح وأعلن الرئيس أنور السادات أنه تنظيم شرعى يسير على النقاط الثلاث: الوحدة الوطنية واستمرار التحول الاشتراكى والسلام الاجتماعى، واطلع ٥٦٠ عضوا من مجلس الشعب واللجنة المركزية على برنامجه وأقروا قيامه وممارسة نشاطه بأغلبية ساحقة.

بدأت الحملات من قلة معروفة من رجال الدين والصحفيين ثم انتهت بالكتاب المرموقين وآخرها مقال الدكتور مصطفى محمود.

إنجاز كامل

والدكتور مصطفى محمود عرف فى أوساط الكتاب طوال السنوات الماضية بإلحاده الشديد ولم يعرف يوما بأنه ماركسى ثم هداه الله إلى الإيمان وكان حماسه للإيمان فياضا تسمعه فى الإذاعة وتقرأ له فى الصحافة فقلنا خيرا، وإذا به أخيرا ينزلق إلى معركة الصراع الاجتماعى وينحاز بوضوح كامل إلى جانب

الرأسمالية والطفيلية المصرية والعالمية وضد كل أنواع التأميم وينادى بالاقتصاد الحر. والغريب أنه ربط هذا الاتجاه بالدين الإسلامى..

وهجوم الدكتور مصطفى محمود على الماركسية والبلاد الاشتراكية كنظرية وتطبيق ليس الموضوع الرئيسى الذى سوف أتناوله فى الرد، فبرغم السطحية الشديدة فى كتابات الدكتور مصطفى محمود عن الماركسية والتطبيق الاشتراكى فى البلاد الاشتراكية.. يظهر أن الدكتور مصطفى محمود قد توقف فى قراءته عن الماركسية والاتحاد السوفيتى والبلاد الاشتراكية الأخرى عند الخمسينات وهى الفترة التى يقول فيها إنه زار المجر ورومانيا وألمانيا وكل أوربا الاشتراكية. وإن مارآه ترك فى نفسه انطباعا سيئا وإن مطالعته لما يجرى فى البلاد الاشتراكية الأوربية أى أوربا الاشتراكية الشرقية وذلك طبعا من الصحف الغربية أعطاه الانطباع والاقتناع الكامل بأن الماركسية فى طريقها إلى الانهيار الكامل. وأنا لن أتوقف كثيرا عند هذه النقطة فهذا موضوع كبير لن يحسمه مقال للدكتور مصطفى محمود ثم ردى عليه فهذا صراع تاريخى كبير سوف يحسم على أرض الواقع العالمى المهم أن يكون الدكتور مصطفى محمود متأكدا من المعلومات التى أوردها فى هذا المجال، إذ أن إحصائيات الأمم المتحدة والواقع العالمى يكذبان المعلومات التى أوردها عن اقتصاد الاتحاد السوفيتى

والبلدان الاشتراكية الأخرى.

ويظهر أن الانهيار الاقتصادى والسياسى للماركسية هو أمل دفين فى عقل الدكتور مصطفى محمود - ولنترك صدق الماركسية وعدم صدقها علميا للتجربة التاريخية، فليس هذا موضوعا يهم الشعب المصرى حاليا - فلا أحد يرفع راية إقامة اقتصاد ماركسى فى مصر أو سلطة ماركسية سياسية، ولا الماركسية أحد البرامج المطروحة سياسيا بين برامج التنظيمات الثلاثة.. إن النقطة المطروحة على شعبنا اليوم هى الحفاظ على استقلاله الوطنى السياسى والاقتصادى واستمرار تحوله الاجتماعى التقدمى.

ولكن المشكلة الكبرى والهامة هى أن الدكتور مصطفى محمود يهاجم تحت ستار هجومه على الماركسية كل التجربة المصرية السابقة ويهاجم التأميم وبالتبعية كل منجزات التحول الاجتماعى التى تمت لصالح العمال والفلاحين - فقد اعتبر تأميم المصانع كارثة أخذت المصانع من يد خمسة أو ستة رأسماليين وسلمتها إلى مائة ألف لص فى المصانع والجمعيات لا علم لهم بالحرفة أو العمل ولذلك يجب أن تعود المصانع لأصحابها يستغلون آلاف العمال، وأن تعاد الأراضى أيضا لأصحابها يستغلون الفلاحين مرة أخرى، وهذا فى نظره يسير فى خط كامل مع مبادئ الدين الإسلامى كما يقول وأعطانا تفسيرا خاصا لما يفهمه من المبادئ الإسلامية يريد أن يكون

دستورا لهذا البلد وإلا فنحن ماركسيون عملاء نستورد الفكرة من الخارج ونبتعد عن أصالتنا وحضارتنا وشخصيتنا العربية.

ولنترك موضوع الأفكار المستوردة جانبا يا دكتور مصطفى.. فنحن سعداء بأنك قد تحولت إلى مفكر إسلامى عميق الفهم للدين - وقل لنا بصراحة رأيك فى المشكلات التى تواجه بلادنا اليوم - فبلادنا مازالت تواجه احتلالا أجنبيا وتريد إنهاءه - واقتصادنا يمر بأزمة شديدة باعتراف الجميع. فمصر تستهلك أكثر مما تنتج حسب بيان وزير التخطيط فى اللجنة فى ديسمبر ١٩٧٥... ومطلوب أن تقوم مصر بالتعمير والتنمية الاقتصادية والصرف على الدفاع فى نفس الوقت ومواردها محدودة وفى ظروف مالية صعبة. كما أن التفاوت فى الدخول يزداد والأسعار فى ارتفاع جنونى والأغلبية الساحقة تتدهور معيشتها يوما بعد يوم أمام ارتفاع الأسعار وأزمات التموين.

ما هو رأيك يا دكتور؟

وماهو رأيك وبرنامجك العملى لحل مشكلات بلادنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية باعتبارك مفكرا إسلاميا عميق الفهم للدين والتراث حتى نتمكن من الخروج من الأزمات الحالية.. وفى نظرنا هذا هو الطريق العملى الوحيد لإسكاتنا والاقتناع بصواب رأيك والاعتراف بأخطائنا كما تتصور.. هناك مشكلات عملية تواجه بلادنا وجماهير شعبنا -

لماذا لا تناقش الوسائل العلمية لحلها ووسائل درء الأخطار التي تهدد بلادنا مع دخول رءوس الأموال الأجنبية.

وفى اعتقادى أننا لو بدأنا النقاش العملى والجاد والمخلص لحل مشكلات شعبنا فربما يظهر إما اتفاقنا أو اختلافنا فى المناهج، ويتحدد جوهريا مع من يقف كل منا وإلى أى القوى ينتمى ويدافع.. وتعرف الجماهير فى بلادنا وهى واعية، أى المناهج هو الذى يحقق لها أهدافها وآمالها وسوف ننحاز إليه، ونحن قدمنا إلى جماهير شعبنا مشروع برنامج للخطوط العريضة للتجمع الوطنى التقدمى الذى يجمع فى صفوفه كل القوى الوطنية التقدمية الوحدوية ـ وفى تصورنا أن مشروع البرنامج يقدم الحلول والمنهج لحل مشاكل بلادنا الأساسية..

ونحن سنكون سعداء لو بدأت مناقشة برنامجنا وهو الموقف الأخير الذى يحدد أهدافنا للعمل السياسى بدلا من الدخول مع قوى الغزو الأجنبى فى هذه المعركة الموجهة إلى صدور تنظيمنا الذى أحاطته جماهير بلادنا العاملة بكل تقدير واحترام ومحبة.. وهذا فى تقديرى السبب الأكبر لفزع كل القوى المعادية للتقدم فى بلادنا والتى تصورت أن تنظيمنا سيولد ضعيفا صغيرا - وإذا به يولد قويا تحميه سواعد الجماهير وآمالها وأعطتنا الجماهير المصرية الشابة كل تقدير ومحبة ومساندة وهذا ما أفزع كل القوى الساعية إلى وقف عجلة التقدم والتى ترى فى تطبيق برنامجنا حرمانا لها من



خالد محيي الدين

الاستفادة من كارل ماركس

استغلالها البشع لجماهير شعبنا وسلب مكتسبات شعبنا التى ناضل فى سنواته العشرين الماضية ليصل إليها - وهذا هو سر الحملة الشرسة التى توجه إلينا، خصوصا أن خصومنا السياسيين يواجهون عجزا متزايدا عن تقديم الحلول العلمية القصيرة المدى والطويلة المدى لإخراج بلادنا من أزمتها الاقتصادية، وليس أمامهم لإضعاف تأثيرنا على جماهير شعبنا سوى تلك الحملات السياسية الكاذبة التى توجه إلى تنظيمنا والتى تشارك أنت بوعى فى تدعيمها تحت ستار الدين والدين منها براء.

فنحن لا نسعى إلى صلح انتهازى بين الماركسية والإسلام كما تقول، ولكننا نهدف مع مجموعة مفكرينا إلى فهم صحيح للإسلام وتفسير علمى عصرى له تحقيقا لمطالب عصرنا فى الثورة الوطنية والاجتماعية، ولا نسكت على الصلح الانتهازى بين الرأسمالية والدين، لأنه فى نظرنا هو الأخطر على مكتسباتنا الوطنية والاجتماعية أمام هجمات الاستعمار الجديد والشركات العالمية الاحتكارية المتعددة الجنسية

وأنا لم أكتب مقالا عن الماركسى المسلم ولكننى قلت إن لماركس أفكارا عن الدين لا أوافق عليها واختلف معه فيها، وإن إيمانى بالله لا يمنعنى من الاستفادة من اكتشافات ماركس فى الاقتصاد والاجتماع والسياسة وليس فى الفلسفة.. أما كلمة الماركسى المسلم، فهى كلمة أطلقتها روز اليوسف على، ولكنى

لم أقل ذلك - كما أننى لست شديد الحساسية من ماركسى أو الماركسية، ففى نظرى أن. الماركسية علم، وعلينا أن نسترشد بالعلم لحل مشكلات عصرنا مادمنا نحافظ على تراثنا القــومى والدينى.. ونحن لا نلعن الماركسية على السجادة كما تــدعى، ولكننا على السجادة لا نفعل سوى الابتهال إلى الله أن يهدينا طريق الصواب وأن يهدى كل النـــاس وأنــت منهــم طــريق الصواب.. فليست السجادة مــكانا للعــن أى شـــىء، أو أى إنسان، فللسجادة آدابها وسلوكها وأنت سيد العارفين..

فنحن نهدف إلى نهضة جذرية عن طريق تفســير الــدين حسب مقتضيات العصر - فالإسلام يحتوى على اشــتراكية أكثر من ماركس ويسارية أكثر من اليسار.. المهم هــو فهــم الإسلام فهما صحيحا وتفسيرا لصالح من؟.. لصالح الأغنيــاء أم الفقراء، لصالح الأقلية أم لصالح الأغلبية، مع إبراز القيــم الخالدة فى تراثنا، هذا ما تمليه حاجات العصر، العمل وحــده قيمة الإنتاج، الملكية الاجتماعية لوسائل الإنتاج - المجتمع اللاطبقى، هذه قيم الإسلام التى تحاول الاشتراكية اليــوم أن تجعلها طريقا لحل مشكلات عصرنا وبلدنا.. وبهذا نحن نســير فى طريق واحد، ولسنا مصابين بانفصام الشخصية لأننا ندافع عن مصالح الشعب المصرى وأغلبيتــه الســاحقة، وســنكون مصابين بانفصام الشخصية إذا وقفنا إلى جانب القلــة مــن الرأسماليين المستغلين فى بلادنا ومن خارج بلادنا إننا سنكون حينئذ غرباء فى بلادنا وهذه أول خطوات انفصام الشخصية.

المسلم كما نراه

إن المسلم الذى يحارب الظلم الأجتماعى والسياسى لهو ثابت القدم متوازن النفس، متجدد الفكر لأنه فى معركته مجاهد فى سبيل الله - أما الذى يقف مع الفئة المستغلة مع القوى الرأسمالية العالمية التى تستغل الشعوب الإسلامية فهو غير ثابت القدم، غير متوازن النفس..

وما العيب فى أن نحمل جائزة لينين للسلام وهى جائزة دولية للسلام مثلها مثل جائزة نوبل، وقد نالها من البلاد العربية أيضا، الشيخ محمد الأشمر عن سوريا وكمال جنبلاط زعيم القوى الوطنية والتقدمية فى لبنان وعزيز شريف وزير الدولة العراقى - أليس النضال من أجل السلام عملا يخدم شعوبنا العربية التى ترزح تحت نير الاستعمار والنضال الإسلامى يعادى أول ما يعادى الاستعمار، وهل حمل جائزة من قبل الشيخ محمد الأشمر وحملها وحمل أيضا القرآن.

أما كتاباتك عن الإسلام فنحن والحمد الله نعرفها ونستوعبها من قبلك بسنوات طوال.. فنحن نعرف الدين بأنه فلسفة معينة فى الحياة أو ما يسمى بالمصطلح الفقهى

العقيدة.. ويتبع العقيدة مجموعة من شعائر العبادات ومجموعة من القيم الخلقية، وكلاهما ينمو بالعقيدة وينمى العقيدة، والعقيدة وما يتبعها من عبادات وأخلاق هى جوهر الدين وأساسه، ليس من حيث الكيف فحسب، بل من حيث الكم أيضا، فهى تسعة أعشار تعاليمه أو يزيد - وهى التى تبنى الإنسان المؤمن الذى يشتعل قلبه بنور الإيمان ويمتلك ضميرا دينيا يقظا وهذا ما يميز القيادات الإسلامية الأولى فى قيادتهم لمصالح شعوبهم على أساس من المحبة والعدل. أما العشر الباقى فهو مجموعة من الأحكام ذات الجوهر الخلقى أيضا لتنظيم وضبط بعض نواحى الحياة الاجتماعية.. فإن هدى الله فى أمور الشرع (فى غير العبادات) أتى ليقرر قواعد عامة وكلية وأحكاما محدودة أشبه بمنارات على الطريق.. ولكنه لا يرسم الطريق، فالطريق نحن ـ بعقولنا وتجربتنا وما ننقله من التجارب الأخرى مادامت تقدم لنا مصلحة وتمنع عنا ضررا ، ولكن مهتدين بهدى ديننا - نرسمه ولا يحدد لنا الخطوة، فالخطوة نحن بعقولنا - مهتدين بهدى ربنا - فنحن لا نتبع أهواء الضالين والمضللين والذين يفسرون آيات الله الكريم ويجتهدون فى تأويله وفقا لأهوائهم السياسية وصولا إلى تحقيق مصلحة خاصة. ولنتجادل معا بالحكمة والموعظة الحسنة، ولكن على أساس من الحقائق والوثائق، وليس على أساس من الادعاءات الكاذبة وغير الحقيقية، وألا يلوى عنق الحقيقة خدمة لأغراض معادية لشعبنا ووطننا فى مرحلة حاسمة من تاريخنا.

ونحن لا نفهم لماذا تنسب الدعوة لتعميق الاشتراكية وتذويب الفوارق بين الطبقات والعيشة الكريمة وحرية الكلمة والرأى والشورى بكل أصولها والمساواة والعدالة الاجتماعية، ولماذا ينسب كل هذا إلى الماركسية وحدها - وتنسى أنها جميعا فى أصول التشريع الإسلامى الحنيف وبنصوص جهاز الدستور المحفوظ وهو القرآن الكريم.. كما أنها من سنة رسول الله صلوات الله عليه وسلامه ومنهجه ومن اتبعه إلى يوم الدين.

هذا آخر رد

إن من أثمن خصوصيات الإنسان عقيدته ووطنيته. والناس جميعا عبيد لله وله سبحانه القول الفصل فينا جميعا والحكم العدل، فهو يعلم السرائر جميعا وأكثر الجاهلين بالدين هم الذين ينصبون أنفسهم أولياء على الغير يكفرونهم حينما شاءوا ومتى تقودهم إليه مصلحتهم.

ولهذا قررنا أن تكون هذه آخر حلقة للنقاش معك يادكتور.. إلا إذا أردت النقاش فى سياسات محددة لإخراج بلادنا من أزماتها السياسية والاقتصادية والثقافية - فهنا نحن مستعدون للسير معك إلي آخر الشوط من أجل شعب بلادنا،

إذ أننا مشغولون بإتمام التجربة الديموقراطية فى بلادنا دفاعا عن حرية الرأى ومصالح الجماهير.. أما غير ذلك من الأوهام والتصورات والمعارك الوهمية فمثلها كمثل طواحين الهواء، فلن نعود إليها ولا نريد أن نكرر ماقلناه لك ولغيرك فى هذا المجال.

وفق الله الجميع إلى مافيه الخير والتقدم للوطن والمواطنين.

الفصل الثالث

د. مصطفى محمود يرد على خالد محيى الدين

هذه لعبة الموت يا رفيق

عزيزى خالد...

سعدت جدا بمقالك والحق أنى عذرتك فى ردك الحامى وما تدفقت به من تهم على شخصى الضعيف أمثال السطحية الشديدة وعدم القراءة والزعم بأنى طالبت برد الأراضى للإقطاعيين ليعاودوا استغلال الفلاحين (وهو افتراء فما قلت هذا أبدا)، ثم الادعاء بأنى ضالع مع قوى الغزو الأجنبى فى المعركة (وهو بلاغ لنيابة أمن الدولة لاعتقالى على طريقتكم المعروفة والمألوفة فى مخاطبة كل من يخالفكم) والحمد لله على أنك لم تتسلم الحكم بعد وإلا لشفعت القول بالعمل ولكنت الآن نزيل زنزانة بالسجن الحربى ثم دفينا مرحوما فى صحراء العباسية تحت الرمال مع جماجم عهدكم المبارك السالف.

أقول إنى عذرتك.. فقد أفلست بضاعتكم تماما ونفق

الحصان الذى كنتم تراهنون عليه.. وليس صحيحا ما ادعيت بأن الماركسية هى حصان طروادة الذى يركبه الجميع حيلة وخداعا فلم يعد أحد يركب ذلك الحصان أبدا وإنما أنتم تركبون حصان الإسلام الرابح وباعترافك عدد الماركسيين فى مصر خمسمائة.. وعجبى لك تتبرأ من الماركسية ثم تدافع عنها وأنت تعلم قبل غيرك أنها غير مطبقة فى أى بلد وأنها انحسرت عن أوطانها وأراضيها.

ولقد عذرتك مرة أخرى فالاسم الجديد الذى تنكرت تحته الماركسية وتجمع حوله الرفاق القدامى، وهو الاشتراكية مالبث أن ابتذله الخصوم والأنصار حتى فقد معناه تماما ولم يعد يعنى شيئا.. فهتلر يسمى حزبه الفاشى الحزب الاشتراكى، وموسولينى يسمى حزبه الفاشى الحزب الاشتراكى وإنجلترا تسمى حكمها الليبرالى اشتراكية وفرنسا تهاجم السويس فى حرب ٥٦ تحت راية حزبها الاشتراكى الذى يتزعمه جى موليه فى حلف ثلاثى مع إسرائيل وإنجلترا.. ثم روسيا اشتراكية والصين اشتراكية ويوغوسلافيا اشتراكية والثلاثة يتبادلون السباب فى الإذاعات ويكذبون بعضهم بعضا.. والبعث العراقى اشتراكى والبعث السورى اشتراكى وكلاهما يهاجم الآخر ويتهمه بالخيانة.

لقد انتهت الاشتراكية إلى مجرد كلمة مفرغة من المحتوى يستعملها جميع الفرقاء لجميع المعانى المتناقضة.. وأصبحت



خرشوف

البقرة التى يملكها صاحبها تدر من اللبن

أكثر من البقرة التى تملكها الحكومة

تدل على الشىء وعلى ضده وتعنى الشىء كما تعنى نقيضه.. وأصبحت علامة اختلاف لا اتفاق فيه أبدا، وأينما دخلت فى أى بلد دخل وراءها الدم والرصاص..

فإذا انتهت حالك أيها الرفيق الاشتراكى إلى هذه العصبية فأنت معذور فواقع الاشتراكية فى العالم الآن مختلط.. وكلمة الاشتراكية ذاتها تحولت إلى وعاء للدجل وقناع يتنكر فيه المزيفون من كل الملل والنحل.

ولقد رأينا الاشتراكية تلبس ثوبا مسيحيا فى أوربا (الحزب الاشتراكى المسيحى) ثم طلعت علينا فى مصر بثوب إسلامى بقيادة سيادتك.

ونحن معذورون تماما يا رفيق إذا أصابنا البهت والحيرة فقد عرفنا دعوتكم الاشتراكية عالمية أممية وعرفناها فوق القوميات والطوائف والأديان والأوطان ومتجاوزة لها جميعا فما الذى جرى فى الدنيا وكيف انحدر بها الحال إلى لبس هذه الثياب المتواضعة وإلى قبول كل تلك التنازلات.

وما هذه القرارات التى طلع علينا بها مؤتمر الأحزاب الشيوعية لهذا العالم ١٩٧٦؟

إنها قرارات تنازل عن كل مبادئ الماركسية فى سبيل الفوز بكراسى الحكم.

إن القرارات تقول بصراحة:

حاولوا الوصول للحكم بأى سبيل.. وإذا وقفت فى سبيلكم مبادئنا الخاصة بديكتاتورية البروليتاريا فدوسوها.. وإن احتج عليكم القوميون فصالحوهم وقولوا لهم نحن قوميون مثلكم.

اسلخوا جلدكم.

تلونوا مع كل موجة لتقفزوا إلى الحكم.. الحكم.. الحكم.. الحكم.. يا رفاق.

ولتذهب المبادئ إلى الشيطان.

أليست هذه القرارات هى إعلان وصولية صريح ومرسوم ميكيافيلية موقع عليه من كهنة معبد موسكو.

لقد كنا نحترمكم حينما كانت لكم مبادئ نناقشكم فيها بالعقل والعلم.

أما وقد سلختم جلدكم وتنكرتم لنظرياتكم.. فماذا بقى لكم من شخصية أو احترام.

وماذا يفرقكم الآن عن أى عصابة من المغامرين من هواة السلطة ومن عشاق الكراسى..

وسوف أصدقك على أن لك موقفا خاصا وإنك تنتقى من الاشتراكية الأم فتأخذ وتدع.. وإنك اخترت من الاشتراكية الأم مبدأ ملكية الدولة لوسائل الإنتاج (أو التأميم الشامل) ونبذت الفلسفة المادية وتفسير التاريخ والمادية الجدلية.. وهو

كلام متناقض.. لأن فكرة نزع الملكيات من الناس وتــأميمها مرتبطة عند ماركس بتفسيره المادى للتاريخ ومــؤسسة علــى منهجه الجدلى، وكل حلقة من هذه الحلقــات آخــذة بــرقبة الأخرى فى تسلسل.. فأنتم تنزعون أدوات الإنتاج مــن أيــدى الناس لأن أدوات الإنتاج مرتبطة عندكم بــأفكار وأخــلاقيات وأديان.. فإذا نزعتم هــذه الأدوات نــزعتم معهــا الأفــكار والأخلاقيات والأديان التى تتبعها.. فالمسائل عندكم متــرابطة سواء اعترفتم أو أنكرتم.. والشمول خــاصية مــن خــاصيات الاشتراكية العلمية.

ثم إن نزع الملكيات الشامل لا وسيلة لــه إلا المصــادرة والعنف والاعتقال والقهر والعسف فلا أحد سوف يعطى رقبته اختيارا.

والاشتراكية العلمية وهى الاسم الآخر للشيوعية هى بــذلك نوع من المضاربة على مجهول، فهى تأخذ منا الحــاضر مــن أجل غد لم يأت بعد، وهى تبدد حياتنا الحاضرة فى أشكال من المصادرة والاعتقال والقهر والعسف فى ســبيل وعــد غيبــى بمستقبل لا يتحقق أبدا.

وكل مبدأ شمولى يحمــل معــه بــالضرورة عنصر إكراه.. فالناس غير قابلين للصب فى قالب واحــد إلا أن يــكون ذلك إكراها وعسفا.. فما قولك فى قانون ينزع الملكية من كل الناس لا يفرق بين عامل وخامل ثم يوظف كل الناس لا يفــرق بيــن

كفء وغير كفء، ثم يضع أرزاق كل الناس فى يد الحكومة والحاكم ويحول الشعب بقرار إلى عبيد لقمة لا يملكون إلا المرتب أول كل شهر.

أليس محتكر الخبز هو بعينه محتكر الحرية؟ أليس هذا هو كلامكم؟.

فكيف تمنون الناس بالحرية ثم تحتكرون خبزهم ولقمتهم بالتأميم الشامل؟.

وأنا بهذا أرد عليكم بنفس كلامكم.

أليس هذا هو اكتشاف ماركس الذى تتشدق به يا رفيق.. وتتشدق بأنك تضعه على رأس مخططك وهو ملكية الدولة لوسائل الإنتاج أو التأميم الكامل الشامل؟.

ولعلمك لم يكن هذا اكتشافا ماركسيا فقد عرف محمد على من قبل مبدأ التخطيط الشامل ونفذ ملكية الدولة للقطاع الاقتصادى فى عصره، كما أورد أفلاطون هذا المبدأ فى جمهوريته منذ ألفى سنة.

كما سبقك إليه من المسلمين فرق منحرفة مثل القرامطة والخرمية.. نادوا بالشيوعية وخربوا البلاد وظلموا العباد.. ثم هلكوا مع من هلك من أمم ظالمة وهلكت معهم أفكارهم.. وهؤلاء حاولوا استخدام القرآن كما تحاول أنت استخدامه وطوعوه لأهواء عصورهم كما تريد تطويعه وكما تقول بالحرف فى مقالك.

نحن نهدف مع مجموعة مفكرينا إلى تفسير عصرى للقــرآن يحقق مطالب عصرنا فى الثورة الوطنية.. إلخ

وفى مكان آخر تطالب بتفسير الدين حسب مقتضيات العصر

وتنسى كمسلم أن العصر لا يحكم على القرآن بل القرآن هو الذى يحكم على العصر.. وأن القرآن يفسر تبعــا لمقتضــيات القرآن ذاته وليس تبعــا لأهــواء العصر.. وأن العصر الــذى نعيشه وقد تدنى إلى جاهلية مادية لا يصلح أن يكون حــكما يفرض مقتضياته على كلام الله وحكمه.

ثم من هم مجموعة مفكريكم الذين سيشرحون لنا القــرآن الكريم؟

لقد فهمت من مقالك أن عندكم هيئة كبار علمــاء خــاصة تعكف الآن على دراسة القرآن واستنباط الشــيوعية وملــكية وسائل الإنتاج من آياته الكريمة.. وهو خبر طريف جدا.

وسوف نزداد شرفا بالتعرف على هــذه الهيئــة.. ومنــكم نستفيد.

ولاشك أننا مندوبون جميعا لفهم ما يقوله القرآن لعصرنــا وهذا ما حاولته فى كتابى «فهم عصرى» ولكن إخضاع آيــات الله وكلماته لمقتضيات العصر وتفسيرها تبعا لمقتضيات العصر مفهوم آخر خطير.

ويبدو من مقالك أنك مسلم رقيق جدا تتأفف من لعن الباطل

على السجادة وتقول إنك تستخدم السجادة فى أغراض أخــرى مثل المحبة والدعوة بالهدى للجميع.

دعنى أسالك إذن من هم «المغضوب عليهــم والضــالون» الذين تتبرأ منهم أكثر من عشرين مرة كلما تلوت الفاتحة على السجادة.. أم أنك تصلى صلاة أخرى غير صلاتنا وتتلو فاتحة أخرى غير فاتحتنا.

ثم من هم الذين قال عنهم ربنا (أولئك جزاؤهم أن عليهــم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) [٨٧ ـ آل عمران]. حتى الملائكة لم يتأففوا من لعن الباطل والمبطلين.

والناس أجمعون وجبت عليهم لعنتهم، والدين هو الاشــادة بالحق ولعن الباطل.

وما أهل الباطل سوى المبطلين الماديين المنكرين الــذين قالوا :

(ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر) [٣٤ ـ الجاثية].. فأنكروا ما وراء هذه الحياة وما وراء هــذه اللحظة.

ولما لم يجدوا غير حياتهم ولحظتهم اقتتلوا عليها بالمخلب والناب..

هؤلاء الذين رفضوا دينك وقاتلوا أنبياءك.. ماذا لهم عندك..



دوبتشك

اجتياح تشيكوسلوفاكيا بالدبابات

لقهر الشعب سنة ١٩٦٧

لعل لهم بطاقة عضوية فى منبرك.. فأنت تدافع عنهـم مـن طرف خفى قائلا:

وماذا يخيفك من خمسمائة أو ألف ماركسى.. وماذا يمكن أن تصنع أقلية هذا عددها فى أربعين مليونا؟.
ولن أذكرك بأن لينين وأتباعه استولوا على الحكم بـالتآمر مع الألمان وباستخدام القوة المسلحة وكانوا بضع مئات بيـن ٢٠٠ مليون روسى.

وكذلك الأحزاب الشيوعية فى أوربا الشرقية قفزت إلى الحكم وهى أقلية من مئات بمساندة الاتحاد السوفيتى.

ومن هى الطائفة التى قفزت إلى الحكم فى عدن أليست هى الطائفة الأقلية؟.

ومن هو الحزب الحاكم فى سـوريا.. أليس هـو الـطائفة الأقلية؟.

إن ألف مسلح فى هذا العصر التآمرى يمـكن أن يضـيعوا مستقبل أمة وأن يستذلوا شعبا .. والأمثلـة حـولك.. ومـن ورائك.. ومن أمامك.

ثم هم آلف ماركسى أخلوا أنفسهم من قيود الأخلاق والدين وأعلنوا فى كتبهم أن الأخلاق والدين ما هما إلا بنـاء فـوقى يتغير مع البناء التحتى.. إلى آخر هذه الترهات التى ضحكوا بها على الناس وبرروا بها لأنفسهم التجـرد مـن كل ولاء أو

ارتباط سعيا وراء قلب العالم وتغييره.

هذه المسوخ العقائدية بما تضحك به على الشباب الرافض ويما تستقطب من أحقاد وأضغان يمكن أن تدمر العالم كله وليس أمة وحدها.

ثم ما حيلة الشعوب أمام أجهزة إعلامية تكذب وتكذب وتكذب وإذاعات وجرائد ومجلات وكتب تكذب وتكذب وتكذب وتكذب ليل نهار.. دون أن يجد أحد فرصة لرد.

ثم أنظمة تمارس الدكتاتورية البشعة.. ثم تهتف ليل نهار بأن الحكم للشعب والأمر للشعب.

وإذا كان الحكم للشعب فلماذا كان الغزو العسكرى للمجر برغم الشعب سنة ١٩٥٦. ولماذا كان اجتياح تشيكوسلوفاكيا بالدبابات لقهر الشعب سنة ١٩٦٧.

ولكنه الكذب والكذب والكذب.

وفى دفاعك عما أنجزته روسيا ودول أوربا الشرقية أجاوبك بأنه لا يصح النظر إلى أى إنجاز معزولا عن الثمن الفادح الذى دفع مقابله.. ولا يجوز النظر إلى عمل دون النظر إلى تكلفته.. فإذا تجاوزت التكلفة الأرباح فالنتيجة خسران..

وإذا أقمنا أعظم صناعة وهدمنا إنسانية الإنسان وسحقنا حريته وأهدرنا كرامته فقد فشلنا وما نجحنا.. وتأخرنا وما تقدمنا..

وإذا اختنق الابداع.. فما أكثر ما تخسر الإنسانية.

ودعني أسألك.. هل هي مصادفة أن كل التحولات الإبداعية في الصناعة وكل الاختراعات التي غيرت مجرى التاريخ خرجت من الغرب الرأسمالي.. أكانت مصادفة أن البخار والبترول والكهرباء والألكترونات والذرة خرجت من الغرب الرأسمالي.

ولماذا لم يخرج من الشرق الشيوعي اختراع واحد من الوزن الذي يغير مجرى التاريخ ويقلب علاقات الإنتاج؟ مجرد سؤال.

أما اللعب على حكاية الفقير والغني واستثمارمشاكل البلد والركوب على حصان أوجاع الناس والمزايدة في الوعود.. وهي اللعبة المحببة لكل فرق اليسار فهو أسلوب غير كريم وغير إنساني.. وهو الحق الذي يراد به دائما الباطل.

وهذا يقودنا إلى مربط الفرس.. حينما سألتني.. وماذا عندك من حل.. وما المخرج.. وما العمل؟..

ولعلك تصورت بسؤالك هذا أنك أوقفتني وظهري إلى الحائط.. وأني لن أجد أمامي إلا التسليم بالحتمية الخرافية التي تتغنون بها.. حتمية الاشتراكية العلمية.

وقد سبق أن شرحت في كتابي «الماركسية والإسلام» كيف أن الاشتراكية العلمية غير علمية، وكيف أن صفة العلمية

ليست أكثر من بطاقة ترويج ودعوى مزعومة لا تصمد للتحليل.. فكارل ماركس لم يقم بحصر للتاريخ، بل قام بانتقاء ما يـوافق هواه ونبذ ما يخالف منهجه من مراحل التاريخ، فـلا يصـح إطلاق كلامه على التاريخ كله.. ثم لو كان منهجه علميا بحـق وصادقا بحق للزم أن تصدق نبوءاته وقد كذبت كلها.. ثـم إن الموقف العلمى الآن هو أبعد ما يكون عن تبسـيط المسـائل وتسطيح التاريخ فى صورة عامل واحد تتـداعى مـن خلفـه المؤثرات كما تصور ماركس.. وإنما النظرية السائدة اليوم هى نظرية تداخل العوامل وتعددها وتبادلها التأثير..

ثم من كان موجودا أول الخَلق ليقـول: فى البـدء كانـت المادة..

هذا كلام ظنى غيبى ولا علمية فيه.

وبالنسبة لقضية الحتمية فلا مكان عنـدى لأى حتميـة فى الأمور الإنسانية فلسنا كرات بلياردو ولا تروس آلة.. وأمـامنا دليل من الواقع فى نظامين كلاهما بدأ من الصـفر.. الصـين خرجت من حضيض الأفيون إلى القنبلة الهيدروجينية بمنهـج اشتراكى ـ واليابان خرجت من دمار هيروشيما وناكازاكى إلى ذروة القوة الاقتصادية بمنهج رأسمالى.. فلا حتمية إذن.. بل هناك أكثر من طريق للخروج مـن حضـيض التخلف.. إنمـا المطلوب الصدق والجدية وتشمير السواعد.

وعلى كل أمة أن تختار حسب تكوينها وتراثها وظروفها.

وأنا أرى أن مصر بالنسبة لتكوينها الحضارى والتراثى والعقائدى تقع فى منطقة الوسط بين المنهج الرأسمالى والمنهج الشيوعى.. والإسلام ذاته كمنهج اقتصادى يقع فى موقع متوسط بين الرأسمالية والشيوعية.. ليس وسطا بالمعنى الحسابى. ولكنه وسط نوعى يختلف فى أصوله وفروعه ومنطلقاته عن الرأسمالية والشيوعية معا، فهو وإن اتفق مع الرأسمالية فى حرية الفرد فى التملك والاستثمار فإنه يختلف فيما يمكن أن تتفرع عنه هذه الحرية من استغلال واحتكار، فالإسلام يرفض الاستغلال والاحتكار ولكنه يسمح برأسمالية وطنية خاضعة للتوجيه وللضرائب التى يستوجبها الضمان الاجتماعى.. والإسلام بالمثل يختلف عن الشيوعية فى الأصول والفروع والمنطلق، فهو ضد ملكية الدولة لوسائل الإنتاج وما يتبعها من تأميم شامل ومن احتكار لخبز الجميع فى يد الحكومة والحاكم لأنه يعنى احتكار الحرية بالتبعية.. وإذا كانت الشيوعية تلجأ إلى هذه الوسيلة فى التأميم الشامل انطلاقا من الرؤية المادية للتاريخ وانطلاقا من مفهومها الناص فى الصراع الطبقى، فالإسلام لايرى هذه الرؤية المادية للتاريخ كما أنه ضد هذا المفهوم للصراع الطبقى.

إنما ينطلق الإسلام من نقطة وفاق واتفاق وأخوة وتعاون بين الأغنياء والفقراء، وليس من نقطة تباغض وتحاقد وذلك

بأن يدفع الأغنياء حق المال، وأن يدفعوا ما تقتضيه الخدمات الاجتماعية من ضرائب مهما بلغت.

كما يطلق المنهج الإسلامى من نقطة التوازن بين مصلحة الفرد ومصلحة المجموع، فيرى أنه يمكن أن يتعايش قطاع عام وقطاع خاص.. ملكية عامة وملكية خاصة، فلا يطغى الفرد على المجموع فيستغل ويحتكر، ولا يطغى المجتمع على الأفراد فيسحقهم ويحولهم إلى قطيع من الموظفين فى نظام مؤمم شامل.. وبهذا المعنى يرى أن يقتصر التأميم على القطاعات الحيوية مثل البترول والصلب والسكك الحديدية والبريد والمواصلات.. وتفسح الأنشطة الاقتصادية الأصغر من ذلك لمساهمة الأفراد تحت توجيه الدولة تفرض عليها ما تقتضيه الخدمات الاجتماعية من ضرائب مهما بلغت.

والمنهج الإسلامى بهذا المعنى أقرب ما يكون إلى الاقتصاد الحر الموجه المأخوذ به فى بلاد مثل إنجلترا والسويد والنرويج والنمسا حيث الحرية الاقتصادية موجودة بضوابط، كما أن تدخل الدولة وهيمنتها بالتأميم والإشراف والتوجيه قائم بضوابط.. ومعيار القياس والحكم يظل دائما بلوغ التوازن بين مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع لا يضحى بواحد منهما من أجل الآخر.. وإنما تتعاون المصلحتان فى قيادة سفينة الإنسان إلى أحسن الثمار.

وبذلك نكون قد أخذنا حسنات النظامين (الرأسمالى



تروتسكي

الحقد هو سلاحنا لقلب العالم

والشيوعى) دون أن نقع فى مساوئهما ودون أن نشقى بعيوبهما.

وأنا لن أسمى هذا الوسط الإسلامى (اشتراكية) تفاديا للخلط والالتباس الذى أصبحت تؤدى إليه هذه الكلمة الخادعة التى تعددت معانيها بسوء الاستعمال فأصبحت تدل على الشىء وعلى نقيضه،وتعنى الشىء وضده.. وإنما سوف أقول إن هذا «الوسط» هو العدالة الاجتماعية كما أتصورها.. والمعانى أهم من الألفاظ وأقطع فى الدلالة.

وعن ملكية الأرض أقول إن تحديد الملكية بالصورة الحالية هو الحل الوسط المقبول بين الاقطاع السابق البغيض وبين تعرية الفلاحين عن أراضيهم وتجميعهم فى تعاونيات بشكل يتنافى مع فطرة الفلاح وطبعه.

وسيكون معيار الحكم دائما هو بلوغ نقطة التوازن بين مصلحة الفرد ومصلحة المجموع.

وهذا هو معنى الصراط المستقيم فى الإسلام.. (الوسط العدل) بين طرفين كلاهما تطرف.. يقول ربنا: (وإن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) [١٥٣ الأنعام].. ولهذا لا يعرف الإسلام يمينا ولا يسارا، فالحق واحد ولا يوجد حقان.. ومن خرج عن هذا الحق باليمين انحرف ومن خرج عنه باليسار انحرف.. وليس على يمين الحق ولا عن يساره إلا الباطل.

ولم تكن حرب اليمين واليسار فى بلادنا إلا بعض أساليب

التفريق والفتنة التى ابتلانا بها الاستعمار.. وهو تفريق لم يكن يبدأ حتى يتفاقم فلا ينتهى.. فهناك فى البداية يمين ويسار.. ثم يعود اليسار فينقسم إلى يسار معتدل ويسار متطرف.. ثم يعود اليسار المتطرف فينقسم إلى يسار صينى ويسار روسى.. وهكذا تظل القسمة تتفاقم وكل يسار ينشق عنه جناح أشد منه يسارية حتى تنشق الأمة كلها إلى شراذم وتتفتت إلى برادة ومسحوق لا وزن له.. وأفراد يقتلون بعضهم بعضا بلا سبب مفهوم كما نرى الآن فى لبنان وكما رأينا فى البرتغال وشيلى ونيجيريا وأنجولا وأسبانيا وإيطاليا.. والبقية تأتى.. حتى تقوم القيامة على عالم غابة يقتل كل واحد فيه الآخر وينتهى العالم غابة كما بدأ غابة..

وإذا قلنا إن كل المسلمين يسار فأى يسار نقصد.. اليسار اللينينى أو اليسار الستالينى أم اليسار الماوى.. وهل سيدنا محمد تيتوى أم ناصرى.. أضحكتمونا يا سادة..

وهل هى هداية للمسلمين أن نخرجهم وهم الجمع المؤتلف لنلقى بهم إلى هذا الأمر المختلف الذى انقسم أصحابه فرقا تقتل بعضها بعضا..

أحرام هذا أم حلال يا أهل العقول ودعاة الفهم العلمى..؟

ترى هل أنا واضح..

وهل أجبتك...

أم سوف أقرأ فى الغد افتراءات عن يمين وشمال بأنى طالبت بإعادة الأرض إلى الإقطاعيين وأنى رأسمالى احتكارى استغلالى رجعى أتستر خلف الدين وأطالب بإلغاء الإشتراكية إلى آخر هذه الاتهامات التى احترفها أصحابكم..

صدقنى.. لن يهمنى..

فأنا أعتقد أنى وضحت نفسى تماما.. وأنى صريح قاطع مثل شعاع شمس أغسطس..

ولك محبتى يا رفيقى..

كلهم يعبدون العجل

يخطئ من يقسم العالم إلى معسكر شرقى ملحد ومعسكر غربى مؤمن.

وساذج من يصور لنفسه أن هناك حضارة مادية فى روسيا وحضارة من نوع آخر فى أمريكا.. فالحقيقة أن كليهما يدين بدين واحد وهو عبادة المادة.

الكل يعبد العجل الذهب ويحرق له البخور ولكن أحدهم يمسكه من ذيله والآخر يمسكه من رأسه.

الحضارة السائدة اليوم هى حضارة مادية ملحدة بشقيها: الرأسمالى والشيوعى.. كل الفرق أن الحريات المتاحة للأفراد تتفاوت فى الجانبين.. ويستطيع بعض المجانين فى بعض الأماكن مزاولة الدين والترويج له والدعوة لأفكاره والخروج عن الصف هنا أو هناك دون مطاردة من السلطات.. ولكنهم

مغلوبون على أمرهم فى النهاية فى الشرق وفى الغـرب بحـكم التيار المادى السائد.

بل إن أكثر المروجين للدين هم طلاب مادة ولابسو أقنعـة ودجالون فى هذا الحفل التنكرى والكباريه العظيم الذى يرقص فيه الكل رقصة المليون دولار..

نحن نعيش جاهلية مـادية ذات أنيـاب ذريـة ومخـالب إلكترونية.. ونعاصر نوعا متطورا من الفساد يستخدم التليفزيون والراديو والسينما والمجلة والكتاب وأحدث مستحدثات العلم فى ترويج أكاذيبه.

ومن السذاجة أن يتصور بعضنا أنهم فى الشرق أصـدقاؤنا وفى الغرب أعداؤنا أو يتصور آخرون العكس أنهم فى الغـرب أصدقاؤنا وفى الشرق أعداؤنا.. فالحقيقة المؤسفة أنهم كلهـم الآن دول كبرى.. يعيشون بمنطق الدول الكبرى وليس بمنـطق أى مبادئ أو نظريات.

الكل يستعمرنا بوسيلة أو بأخرى.. بالمذهب أو بـالاقتصاد أو المؤامرات.. أو بالسلاح يبيعونه ثم يؤلبون طائفة منا علـى الأخرى لنقتل بعضنا بعضا فيضربون بذلك عدة عصافير بحجر واحد.. يستردون عائدات البترول التى دفعوها لنـا بـالعملة الصعبة.. ويشغلون مصانعهم.. ويعالجون البطالة الـزائدة فى بلادهم بالعمل فى تلك المصانع.. ويشتتون جموعنا فـلا تتفـق

أبدا على كلمة.. ويقتلون الصفوة العربية المتحمسة بأيدى صفوة أخرى عربية متحمسة.. ثم يتبادلون الأنخاب من فوق رءوسنا على ما أحرزوه من نجاحات فى عالم البقر الذى هو العالم العربى المنكود بطلائعه المتخلفة.

ويخطئ البعض ويتصور أن الحل هو أن نرفض هذا العصر.. أو أن نرفض هذه الحضارة بتمامها.. وهى جريمة لا تقل خطرا عن قبول هذه الحضارة بتمامها..

والحقيقة أن هناك جانبا إيجابيا فى هذه الحضارة لابد من قبوله واستيعابه.. وهو العلم بمنجزاته الصناعية والتكنولوجية.

والعلم محايد..

لا يوجد علم شرقى ولا علم غربى.

ولا يوجد علم شيوعى وعلم رأسمالى..

الحقائق العلمية واحدة.

البخار ليس يمينيا.

والكهرباء ليست يسارية..

العلم تراث إنسانى عام لابد من تحصيله كله ومن منابعه ومراجعه الأصلية وذلك هو الجانب الإيجابى من حضارتنا.

أما الجانب النظرى والفلسفى والسياسى فهو الأمور التى يجب عرضها على العقل وفرزها ونقدها وتحليلها.

وهذه الأمور هى التى يبسط عليها الفكر المادى ظله الثقيل الكثيف.. وما أكثر ما نقرأ فى هذه الأمور من بطاقات علمية موضوعه على سلع فكرية وهى لا تمت إلى العلم بسبب.. فنقرأ مثلا كلمة (علوم ماركسية) وهى كما شرحنا سابقا ليست بعلوم ولا ينطبق عليها الشرط الواجب فى العلوم.. فهى ظنية غير موضوعية ومستقاة من مادة تاريخية هى بدورها ظنية وغير موضوعية.

ومن هذه الأمور أيضا «علم النفس». وهو ليس بعلم على الإطلاق ولا ينطبق على بحوثه التى قدمها فرويد وأدلر وغيرهما شروط العلم الواجبة.. فلا هو يقينى ولا هو موضوعى بل هو مجموعة نظريات وفروض وتخمينات اختلف فيها أصحابها وتناقضوا وكذب كل منهم الآخر.

ثم نرى الفكر المادى يبسط ظلاله على هذه العلوم النفسية المزعومة ويلفها فى غلالة كثيفة من العمى وقصر النظر.

فعلم النفس يتصور النفس الإنسانية تصورا ماديا بحتا فهى مجموعة غرائز تطلب الإشباع المادى العاجل فى دنيا مادية ثم لا شىء وراء ذلك.. لا روح ولا إله.. ولا غيب من وراء هذا الواقع المحسوس.. ولا شىء من وراء هذه الدنيا المادية الكثيفة الغليظة.

والإله الحاكم فى هذه الملكة النفسية هو مجموعة الغرائز



فرويد

لم ير من النفس إلا جانبها المادى الحيوانى

القابعة فى اللاشعور ومجموعة الأشواق التى تراكمت فى سنوات الطفولة الأولى.

والإنسان بناء على هذه النظرية مدفوع دائما بقوى لا معقولة وملقى به نحو أفعال قهرية لا تبصر فيها ولا روية.. وهو مغلوب على أمره لا حيلة له ولا مخرج.. وكل ما يملكه العقل هو أن يحاول تبرير هذه الرغبات البهيمية والبحث عن وسائل مقبولة لإشباعها أو التسامى بها ليزاولها بصور أجمل..

وقد استخرج فرويد وأصحابه هذه النظريات من دفتر مرضى الهستيريا والنورستانيا فى عنبر الأمراض النفسية ثم عمموها على الأصحاء والأسوياء.

أما علماء النفس اليوم فيستخرجون نظرياتهم من إحصاءات وملاحظات تجريبية فيما يعرف الآن بعلم النفس التجريبى.

وعلم النفس التجريبى هو كذبة أخرى كبرى فالنفس بطبيعتها ذات كلية ولا يمكن تحويلها إلى موضوع أو تشريحها تحت المجهر.. وهى بالتحليل والتشريح تصبح شيئا آخر غير النفس الحيّة المطلوب فهمها.

والنفس بطبيعتها تتفلت وتستخفى وتستعصى على التجريب.

وإذا اقتطعت من النفس جانبا فى عملية التحليل فإن ما تراه لا يكون هو النفس، لأن النفس كل لا يقبل التجزئة وواحد لا يقبل القسمة.

وكل هذه الأخطاء هى ثمار النظرة المادية المحدودة إلى النفس التى لا ترى من النفس إلا الجانب الحيوانى الفسيولوجى

وهو عين ما فعله كارل ماركس حينما تصور أن التاريخ عربة تحركها المصالح المادية والقوى المادية وحدها.. وأن حركة التاريخ هى دائما ثمرة الصراع بين طمع الأغنياء وحقد الفقراء إلى آخر ما حكيناه عن الصراع الطبقى

وهذا التصور المحدود والأفق الضيق المسدود هو الذى أدى بالاثنين إلى اعتساف الفروض والتخريجات.. وهو الذى أدى بالاثنين إلى تلفيق ما قالاه عن النفس والتاريخ.. وهو الذى انتهى بالاثنين إلى اعتساف الأدلة وتزييف البراهين

وهذه النظرة هى التى صبغت فكر الغرب وفلسفته وسياسته وفنونه.. وهى المسئولة عن ذلك الجانب المظلم من القمر (قمر الحضارة العلمية).. حيث يضىء وجه العلم والصناعة والتكنولوجيا على حين يظلم الوجه الآخر بطغيان المادية والالحاد.

وفى موجة انبهارنا بالحضارة الأوربية خلطنا بين الوجهين فلم نعرف أيهما يحمل لنا التقدم وأيها يحمل لنا التأخر.. وتصورنا أن كل ما يأتينا عبر البحر هو طوق نجاة وبشير إنقاذ

وكانت هذه كبرى أخطائنا

وهو ما يجب أن نتداركه من اليوم.. فنعرف ماذا نأخذ وماذا ندع.

الحساب الختامى للماركسية

مسلسل القتل الدائر الآن فى يناير ١٩٨٦ فى اليمن الجنوبية ليس غريبا فمن قبل كان هناك مسلسل آخر للقتل بين الإخوة الماركسيين فى أفغانستان، وتصفيات دموية بين الرفاق انتصر فيها الرفيق بابراك كارميل على إخوته ثم على نفسه ثم على بلده الذى أسلمه للدمار، ومن قبل ذلك كانت هناك مذابح فى كوبا وفى أنجولا وفى أثيوبيا ومن قبل ذلك فى المجر، وفى تشيكوسلوفاكيا وفى بولنده وفى كل مكان دخله الرفاق وارتفعت فيه راية الشيوعية.

ولا شك أن الحساب الختامى للماركسية على خريطة الواقع ليس فى صالح الرفاق، ولا شك أننا نرى غروبا شاملا لهذا الفكر فى كل الميادين وتراجعا كاملا للمذهب وتنازلات، ومصالحات ومحاولات للتوفيق بينه وبين الرأسمالية فى صورة انفتاح أو استيراد للتكنولوجيا أو الخبرة أو إحياء للقطاع الخاص.

جاءنا الحساب الختامى للماركسية من الصين يقول بالأرقام

أن هناك عجزا فى الميزان التجارى بلغ ٣١٦١ مليون دولار بسبب ازدياد الواردات على الصادرات وسمعنا من داخل بكين ومن الحزب الشيوعى الحاكم من يقف ويقول أن الماركسية فكر رجعى معوق وأن الثورة الثقافية أيام ماوتسى تونج كانت تخريبا للاقتصاد وتخريبا للثقافة الصينية، وقرأنا وتابعنا المسلسلة الدامية لمحاكمة وادانة عصر ماو ورأينا الحكم الصينى يتجه إلى الانفتاح ويطلب الخبرة الأمريكية والتكنولوجيا الأمريكية، ورأيناه يشطب كلمة الكوميون الشيوعى من قاموس التداول ويختار كلمة مخففة هى الاشتراكية، ورأيناه يفتح الباب أمام القطاع الخاص والاقتصاد الحر لينقذ البلاد من الانهيار الاقتصادى.

أما الدائرون فى الفلك الشرقى الماركسى فكان حظهم أسوأ.. والانهيار الاقتصادى فى بولندة، ويوغوسلافيا وألمانيا الشرقية والمجر وكوبا أصبحت أعمدة يومية متكررة ومألوفة فى جميع الصحف وما جرى للاقتصاد المصرى بعد هزيمة ١٩٦٧ معروف ومعلوم.

وبالمقابل رأينا التطبيق الرأسمالى فى اليابان يسجل أعلى فائض تجارى فى ميزان المدفوعات، وأعلى نسبة من الصادرات فى العالم وأعلى مستويات للمنافسة للتكنولوجيا الأمريكية المتطورة.. ومزاحمة حذو النعل بالنعل فى صناعة الكومبيوتر والالكترونيات.

هذا هو حصاد التاريخ للتجربة الماركسية بالواقع وبالأرقام وما زلنا نرى الهاربين من الجنات الشيوعية المزعومة يقفزون على سور برلين إلى الغرب.. لم نسمع عن هارب واحد يقفز على السور

إلى الشرق إلا الجواسيس الذين يقفزون بالأسرار والخرائط العسكرية لبيعها فى سوق الحرب الباردة بين الطرفين.

ومع ذلك ما زلنا نسمع من الفلول الباقية من أتباع هذا الفكر ممن يسمون أنفسهم بالتقدميين (وما أسهل انتحال الأسماء) ما زلنا نسمع من يدافع عن هذا الفكر الذى هزم نفسه بنفسه تاريخيا والذى خذل أتباعه فلم يترك لهم إلا وصمة التبعية والتخلف على جميع الجبهات، ونراهم يسكتون ويتعامون عن الضرب الروسى الوحشى لأفغانستان المسلمة وهم مسلمون، ولا يتحرك لهم ضمير وهم يشاهدون وجوه الأطفال المحروقة بالنابالم والأطراف المبتورة للنساء والشيوخ والولدان والجثث المشوهة.. ونرى بعضهم يعاود الكلام فى الهراء القديم عن الصراع الطبقى وعن ضرب طبقة بطبقة لإنقاذ الوضع العربى وكأن الساحة العربية فى حاجة إلى المزيد من الضرب لبعضها البعض وكأن مرجل الحقد والضغينة فى حاجة إلى المزيد من الوقود.

ويبحث هؤلاء الفقهاء عن منطلق للنجاة فلا يجدون إلا منطلقا واحدا هو تحريض الفقراء على الأغنياء، وتحريض المحكومين على الحكام وتحريض المرؤوسين على الرؤساء، ودفع الأدنى إلى قتل الأعلى وإباحة الاضرابات والترخيص بالمظاهرات والحض على المسيرات وصولا بذلك إلى الفوضى.. والفوضى كالعادة هى مناخهم المفضل الذى يحلمون به لأن الشعوب التى تقع فى الفوضى تصبح

مستعدة لقبول أى حل يخرجها من الفوضى حتى ولو كان هذا الحل هو الحكم الشيوعى المستبد.

ويذكرنى ما يحدث برأى للدكتور والمفكر المغربى المهدى بن عبود بأن الماركسية ليست فكرا ولا فلسفة وإنما هى طبع وخلق وغل مكبوت لنفوس موتورة تطلب الثأر ولا ترتاح إلا للقتل والتنكيل والاعتقال والتسلط، وهى تجد فى الأيديولوجية الماركسية أفضل ذريعة وأحسن مبرر تتستر به.. وأن ماركسيى اليوم هم نفس خوارج الأمس وهم نفس القرامطة الذين استعملوا الدين للقتل والتدمير والتخريب.. وإنما هى نفوس عدمية تبحث لنفسها عن ذرائع لتباشر جرائمها ولهذا لا تقتنع بمنطق ولا بعقل ولا بواقع ولا بأرقام لأنها رغبة عدمية صرفة لا تعقل؛ ولذا نسمعهم يرددون نفس الحجج الباطلة ونفس الجدل العقيم المستهلك ونفس العبارات المبتذلة التى تهرأت من كثرة الاستعمال، ثم نكتشف فى النهاية أننا لا نتعامل مع عقول وإنما نتعامل مع طباع ورغبات وشهوات مجردة عن المنطق.

لهؤلاء ولأتباعهم ولمن يمشى وراءهم خادعا أو مخدوعا نقول لهم أن خريطة العالم تغيرت وأن أفكارهم امتحنت وسقطت وأن التاريخ قال كلمته الأخيرة فى هذه الأفكار وأدانها وأن العصر تخطاها وتجاوزها، وأن الحساب الختامى كان بالخسارة على جميع الميادين.

ونقول لهم.. هاتوا برهانكم.. هاتوا مثالا واحدا.. هاتوا اسما واحدا لهارب واحد هرب من جحيم الغرب إلى جنتكم.

ونقول لهم.. أليست الدبابات التى دكت أصوات الحرية فى المجر وتشيكوسلوفاكيا هى الدبابات الاشتراكية بعينها..
أليست الطائرات التى تلقى الموت والدمار والهلاك على أفغانستان المسلمة هى طائرات سوفيتية.
فيم المبالغة إذن إذا قلنا أنها إمبريالية جديدة لا تختلف عن الإمبريالية القديمة التى تحاربونها إلا فى الاسم والبطاقة.. وأن ما نراه هو نوع جديد من الدعارة.. هو الدعارة بالكلمة حيث تسمى الأشياء بعكس أسمائها وتطلق الكلمات على عكس معانيها وأنكم المروجون الحقيقيون لهذه الدعارة.. ولا أجد تعليقا مناسبا على هذا خيرا من كلام الله فى قرآنه الكريم.

﴿يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لاتفعلون، كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لاتفعلون﴾ (٢/٣ سورة الصف)

ولو أن المتشدقين بالمبادئ تمسكوا بالمبادئ لاحترمناهم ولقلنا هم أصحاب أفكار، ولكن المشاهد أن جميع الأحزاب الشيوعية تخلت عن مبادئها وتنكرت لأفكارها.

بل أنهم قد تنازلوا حتى عن جوهر الماركسية ولبها ونخاعها وهو ملكية الدولة لوسائل الإنتاج، فوجدنا اليسار الجديد فى اليونان بقيادة باباندريو لا يؤمم صناعة واحدة ولا يمس ملكية.. ووجدنا ميتران الشيوعى القديم حينما يجد الفرصة ليحكم فى فرنسا يستعين بالبورجوازى المليونير فابيوس رئيسا لوزرائه ويطرح الأفكار الاشتراكية كلها خلف ظهره.

لقد أصبح الكرسى هو هدف جميع الأحزاب الشيوعية وفى سبيل بريق الكرسى وإغراء السلطة وأبهة الحكم تزيف الأفكار

وتنسى المبادئ ويسمون هذا تطورا، وهو بالفعل تطور من الفكر إلى الانتهازية ومن العقيدة إلى المكيافيلية.. فماذا أبقوا من الشرف والمثالية لأتباعهم.

ألم تكن فرنسا الاشتراكية فى عهد جى موليه هى إحدى الدول المتآمرة فى العدوان الثلاثى على مصر فى حرب ١٩٥٦.

وكيف صعد بابراك كارميل إلى الحكم فى أفغانستان..؟!

وكيف اغتصبت العصابة الشيوعية الحكم فى عدن..؟! وماذا يفعلون الآن بأهليهم واخوتهم..؟

وكيف انقلبت أنجولا..؟!

لقد انتهت مبادئ الرفاق وغربت شمس أفكارهم ولم تبق إلا حروب عصابات وإرهاب ومافيا وجيوش مرتزقة، وفتن ودول كبرى تتصارع بالمخلب والناب وتنشر الفتن فى الدول النامية البائسة لتبيعها السلاح، ومصالح تتعارك مع مصالح ولا مانع من أن يقتل الشيوعى أخاه الشيوعى فى فيتنام والصين ولا مانع من أن تصفى العصابة الحاكمة بعضها البعض دمويا حتى ينفرد أكثرها دهاء بالكرسى.

والماركسية فى الحساب الختامى لم يبق منها إلا تاريخ من الأكاذيب الجميلة ضحكوا بها علينا فى الماضى، وحشو فلسفى من الأفكار الخاطئة وحاضر حزبى مخزى لا يشرف أحدا وتبعية بلا عائد سوى أجر العمالة.

ولقد أصاب شاعر الثورة البلشفية مايكوفسكى حينما أطلق على رأسه الرصاص منتحرا لحظة أن اكتشف زيف الأفكار التى

حارب من أجلها فكان أول صوت احتجاج يخرج من وراء السور الحديدى ليعلن للعالم كله فساد المذهب وفساد أتباعه.

* * *

وليست هذه التصفية انحيازا إلى الشاطئ الأمريكى ولا هى اختيار للأيديولوجية الأمريكية فإن أمريكا اليوم هى إسرائيل بعينها وهى الأيديولوجية الصهيونية بسلوكها وهى الذراع الطويلة لتل أبيب التى تضرب بها فى كل مكان.

أمريكا التى أعطت إسرائيل الرخصة لضرب تونس واعتبرت العدوان على الأجواء التونسية حقا شرعيا لإسرائيل، واعتبرت خطف الطائرة المدنية المصرية عملا قانونيا واعتبرت مطاردة الفلسطينيين لآخر الأرض هدفا ورسالة.

أمريكا التى زرعت الألغام فى مياه نيكاراجوا لتقتل بها العدو والصديق دون تمييز.. أمريكا بهذا هى النقيض السياسى المرفوض وهى الوجه الآخر القبيح للاستبداد وقهر الشعوب.

وإذا كان القهر الشيوعى لأفغانستان مرفوضا.. فإن أمريكا بأساطيلها وجيوشها وصواريخها وثرائها الفاحش هى نوع آخر من القهر للبلاد النامية الفقيرة كلها.

ولقد أثبتت الحوادث أن اليسار الشيوعى واليمين الأمريكى كلاهما يزرع التطرف، ويبذر الفوضى ويدبر الانقلابات ويحرك الثورات ويؤجج الفتن وأن كلاهما قد زرع إسرائيل وكلاهما يرعاها وكلاهما يحرسها ويسهر على أمنها.

أما اليتيم المطارد المضطهد الذى لا يسهر عليه أحد فهو استقرار المنطقة العربية وأمنها.. وهو الاعتدال أينما وجد واليد

المخلصة الممدودة بالسلام أينما اتجهت.

ولا شيء تخشاه إسرائيل خشية الموت مثل الصوت المعتدل المسالم، لأنه يجرها جرا إلى مائدة المفاوضات ويعريها تماما أمام المجتمع الدولى، ويقهرها قهرا على التنازلات ويسلبها الحجة على طلب السلاح وتسول الطائرات والعتاد الحربى من أمريكا وأوروبا وهى لا تنسى أن يد السادات حينما امتدت بالسلام سلبتها سيناء بلا حرب، وهى لا تريد أن تقع فى هذه الحفرة مرة أخرى.

وهى تعلم أن السلام معناه الاستقرار ومعناه تنامى قوة مصر وتنامى اقتصاد مصر، وتنامى الجيش المصرى وتنامى التسليح المصرى وهى قد ذاقت مرارة هذه العصا المصرية فى حرب أكتوبر ولا تريد أن تذوقها من جديد.

وهذا يكشف لنا الحل الوحيد لمشاكلنا والمخرج الوحيد لمحنتنا فهو ليس اليسار الشيوعى ولا اليمين الأمريكى.. وهو ليس التطرف ولا الانقلاب وإنما على العكس من ذلك كله.. طريق النجاة هو التيار المعتدل والصوت المعتدل، واليد الممتدة دائما بالسلام والتمسك بالاستقرار بكل الوسائل.. والعمل الدائب على التنمية والإنتاج.. العمل والعمل والعمل..

لا صراخ اليسار ولا هتاف اليمين كلا المعسكرين له مصلحة فى خرابنا.

وكلا المعسكرين متمسك بإسرائيل وما يخشاه الجميع هو الصوت المعتدل المسالم.

إنهم جميعا يحاولون ضرب هذا الصوت والقضاء عليه..

جميعهم يحلمون بميلاد العنف فى منطقتنا العربية كما ولد فى لبنان وقضى عليها.. فإذا لم يكن ممكنا أن يولد ولادة طبيعية فليزرع فى أنابيب وليربى فى الأدمغة مع المخدرات والأفكار المشوشة.

وهم يصنعون المستحيل لترويج هذه الأفكار المشوشة.

ولكنهم لن ينجحوا إذا ما وعينا الحقيقة.. أنه لا نجاة لنا فى يمين أو يسار ولا صلاح لنا فى ثورة مستوردة ولا فى أفكار لقيطة.. وإنما نجاتنا فى أن نكون أنفسنا.. أن نكون أهل الاعتدال والوسط ورسل السلام والحب كما علمتنا جميع الأديان منذ سبعة آلاف عام.

ورافع هذه الراية دائما هو أول من يوجه إليه الرصاص من جميع الاتجاهات لأنه ليس مع أى اتجاه منها، ولا مع أى فرقة ولأنه يعريها جميعا ويفضحها جميعا ولأنه لا يتاجر بشىء ولا يزايد على شىء ولأنه بلا هوى، وبلا مصلحة وبلا لون سوى لون بلده.

ومن هذه الراية نبدأ.. من مصر.. الأم..

مصر عدم الانحياز وعدم التبعية.

مصر العمل والهمة والاصرار.

وتصبح الدبلوماسية المثلى هى دبلوماسية الباب المفتوح والعلاقات المتوازنة مع جميع المحاور والمعسكرات دون تبعية لأحدها.. دبلوماسية المصالح المتبادلة والأخذ والعطاء من أجل قوة مصر وتكاملها وتقدمها.

وحينما تتحول مصر إلى القطب الأقوى فإن كل الدول العربية سوف تتوحد بحكم الحاجة.. حاجة العائلة إلى الكبير الذى يحميها.

وكالعادة.. ما زالت القوة فى عالمنا هى صاحبة الكلمة الأولى والأخيرة.

الاحترام للأقوياء والغلبة للأقوياء والقيادة للأقوياء فلننهض. ولنسترد عافيتنا.. لنجد لنا مكانا على مائدة الأقوياء.

صدر للمؤلف

١ - الله والإنسان
٢ - أكل عيش
٣ - عنبر ٧
٤ - شلة الأنس
٥ - رائحة الدم
٦ - إبليس
٧ - لغز الموت
٨ - لغز الحياة
٩ - الأحلام
١٠- أينشتين والنسبية
١١- فى الحب والحياة
١٢- يوميات نص الليل
١٣- المستحيل
١٤- الأفيون .. (سيناريو)
١٥- العنكبوت
١٦- الخروج من التابوت
١٧- رجل تحت الصفر
١٨- الإسكندر الأكبر
١٩- الزلزال
٢٠- الإنسان والظل
٢١- غوما
٢٢- الشيطان يسكن فى بيتنا
٢٣- الغابة
٢٤- مغامرة فى الصحراء
٢٥- المدينة (أو حكاية مسافر)
٢٦- اعترفوا لى
٢٧- ٥٥ مشكلة حب
٢٨- اعترافات عشاق
٢٩- القرآن محاولة لفهم عصرى
٣٠- رحلتى من الشك إلى الإيمان
٣١- الطريق إلى الكعبة
٣٢- الله
٣٣- التوراة
٣٤- الشيطان يحكم
٣٥- رأيت الله
٣٦- الروح والجسد
٣٧- حوار مع صديقى الملحد
٣٨- الماركسية والإسلام
٣٩- محمد
٤٠- السر الأعظم
٤١- الطوفان
٤٢- الأفيون .. (رواية)
٤٣- الوجود والعدم
٤٤- من أسرار القرآن

٤٥- لماذا رفضت الماركسية
٤٦- نقطة الغليان
٤٧- عصر القرود
٤٨- القرآن كائن حَيّ
٤٩- أكذوبة اليسار الإسلامى
٥٠- نار تحت الرماد
٥١- المسيخ الدجال
٥٢- أناشيد الإثم والبراءة
٥٣- جهنم الصغرى
٥٤- من أمريكا إلى الشاطئ الآخر
٥٥- أيها السادة اخلعوا الأقنعة
٥٦- الإسلام ... ما هو ؟
٥٧- هل هو عصر الجنون ؟
٥٨- وبدأ العد المتنازلى
٥٩ - حقيقة البهائية
٦٠- السؤال الحائر
٦١- سقوط اليسار

* مجموعة المؤلفات الكاملة *

قصص مصطفى محمود — **صدرت فى بيروت عام ١٩٧٢**
روايات مصطفى محمود — **صدرت فى بيروت عام ١٩٧٢**
مسرحيات مصطفى محمود — **صدرت فى بيروت عام ١٩٧٢**
رحلات مصطفى محمود — **صدرت فى بيروت عام ١٩٧٢**

حازت رواية « رجل تحت الصفر » على جائزة الدولة لعام ١٩٧٠

رقم الإيداع	١٩٩٠ / ٤٨٢٨
الترقيم الدولى	ISBN 977 - 02 - 2987 - 3

١ / ٩٠ / ٩٠

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

هذه المجموعة

تحرص دار المعارف دائما على تقديم الأعمال الكاملة لكبار المفكرين والأدباء. والدكتور مصطفى محمود واحد من هؤلاء الذين أخلصوا للقلم.. فأثرى ساحة الفكر والعلم.. وطَرَقَ أبوابًا جديدة لم تفتح من قبل.. فتنوع إنتاجه بين القصة والرواية والمسرحية وأدب الرحلات.. إلى جانب تلك المؤلفات التى تحفل بالنظرات المعاصرة للفكر الدينى والمقارنة بالنظرات العلمية الحديثة.. والتى لاتزال تثير مزيدًا من الجدل المفيد.

وقد امتد تأثير فكر الدكتور مصطفى محمود إلى القراء العرب من الخليج إلى المحيط كما ترجمت بعض أعماله إلى اللغات الأجنبية شاهدة بقدرته على العطاء المتميز المتنوع.